الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية



مطبوعة بيداغوجية:

محاضرات في مادة بنيويات

موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص نقد حديث ومعاصر

إعداد الدكتور:
حاتم زيدان

الموسم الجامعي: 2025-2026


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عنوان الماستر: نقد حديث ومعاصر
السداسي: الأول
اسم الوحدة: المنهجية
اسم المادة: بنيويات
الرصيد: 3
المعامل: 2

محتوى المادة:

1- اتجاهات النقد الأدبي الحديث: فترة ما قبل البنيوية.

2- مفهوم النقد البنيوي وتعدد مصطلحاته.

3- الأصول الفلسفية للنقد البنيوي.

4- الأصول اللسانية للنقد البنيوي.

5- روافد البنيوية: أ-البنيوية الشكلانية.

6- روافد البنيوية: ب-البنيوية التكوينية.

7- النص الأدبي من مدار المقاربة البنيوية إلى مستويات التحليل البنيوي.

8- البنيوية في الكتابات النقدية الغربية.

9- البنيوية في كتابات النقاد العرب المعاصرين.

10- قراءة في كتاب"ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية" لمحمد بنيس.

11- قراءة في كتاب "في معرفة النص" ليمنى العيد.

12- قراءة في كتاب "نظرية البنائية في النقد الأدبي" لصلاح فضل.

13- الإشكالات النظرية للنقد البنيوي.

14- الإشكالات التطبيقية للنقد البنيوي.

مقدمة

شهد النقد الأدبي المعاصر تحولات عميقة مست مختلف تصورات النص الأدبي وطرائق مقاربته، فبعد أن انشغل النقد التقليدي (المناهج الحديثة) بالبحث في حياة المؤلف وظروف إنتاج النص ومرجعياته الخارجية، اتجهت المناهج المعاصرة إلى التركيز على النص ذاته بوصفه بنية لغوية ودلالية تمتلك قوانينها الخاصة وآلياتها الداخلية، وقد كان النقد البنيوي من أبرز الاتجاهات النسقية التي أسهمت في هذا التحول، إذ سعى إلى بناء قراءة علمية للنص الأدبي تنطلق من مكوناته الداخلية والعلاقات التي تربط بين عناصره اللغوية المختلفة.

ويُعدّ النقد البنيوي من أهم المناهج التي أثرت في الدراسات الأدبية خلال القرن العشرين، لما أحدثه من تغييرات في أدوات التحليل ومفاهيم القراءة النسقية، كما شكل منطلقًا معرفيا وعلميا لظهور اتجاهات نقدية لاحقة استفادت من منجزاته النظرية والمنهجية أو انطلقت من مراجعتها ونقدها، كسوسيولوجيا النص أو البنيوية التكوينية أو التوليدية إلخ، لذلك فإن الإحاطة بهذا المنهج لا تقتصر على معرفة مفاهيمه الأساسية، وإنما تمتد إلى فهم جذوره الفكرية (المعرفية) أو لنقل الفلسفية وكذا اللسانية، والكشف عن أهم روافده واتجاهاته، وتتبع حضوره في النقدين الغربي والعربي، فضلًا عن الوقوف عند أهم القضايا والإشكالات التي أثارها على المستويين النظري والتطبيقي.

وتندرج هذه المطبوعة البيداغوجية ضمن هذا الأفق المعرفي، حيث تسعى إلى تقديم تصور معرفي وفكري متكامل حول النقد البنيوي من خلال معالجة أبرز مرتكزاته النظرية ومفاهيمه –آلياته– الإجرائية، وتتبع مسار تشكله وتطوره، مع إفراد حيز مهم لبعض النماذج النقدية التي أسهمت في ترسيخ هذا المنهج داخل الثقافة النقدية العربية وجدوى تطبيقها لهذا المنهج، كما تحاول تقريب المفاهيم البنيوية من الطلبة وإبراز مجالات اشتغالها وإمكاناتها المقارباتية، مع عدم إغفال ما وُجّه إليها من ملاحظات وإشكالات نقدية في نهاية المطاف.

وقد تم تنظيم محاضرات هذه المطبوعة وفق تسلسل يراعي تدرج المعرفة من العام إلى الخاص؛ إذ تبدأ بتقديم السياقات النقدية التي سبقت ظهور البنيوية، ثم تنتقل إلى عرض مفهوم النقد البنيوي وأصوله الفكرية واللسانية وروافده المختلفة، قبل التوقف عند آليات

ومستويات التحليل البنيوي وتجلياته في الكتابات النقدية الغربية والعربية معا، لتنتهي بمناقشة أهم الإشكالات النظرية والتطبيقية التي رافقت هذا الاتجاه النقدي وأسهمت في إعادة النظر في كثير من مسلماته.

المحاضرة الأولى: اتجاهات النقد الأدبي الحديث: فترة ما قبل البنيوية

تقديم:

لا يمكن فهم ظهور البنيوية في النقد الأدبي بمعزل عن السياق النقدي الذي سبقها ومهّد لانتشارها، فقد شهدت الساحة النقدية الحديثة منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تعددًا في المناهج والاتجاهات التي حاولت تفسير العمل الأدبي والكشف عن دلالاته من زوايا مختلفة، فهناك من ربط الأدب بظروف إنتاجه التاريخية والاجتماعية، وهناك من جعله تعبيرًا عن التجربة النفسية للمؤلف، في حين انشغلت اتجاهات أخرى بالقيم الجمالية والفنية للنص.

وقد أسهم هذا التنوع في إثراء الدرس النقدي وتوسيع مجالاته، لكنه أدى في الوقت نفسه إلى تباين واضح في منطلقات القراءة وأدواتها، ومن هنا برزت الحاجة إلى مناهج أكثر دقة في التعامل مع النص الأدبي، الأمر الذي هيأ الأرضية لظهور البنيوية التي سعت إلى نقل الاهتمام من العوامل الخارجية المحيطة بالنص إلى دراسة بنيته الداخلية والعلاقات التي تنتظم عناصره.

وتُعد معرفة الاتجاهات النقدية السابقة للبنيوية خطوة ضرورية لفهم طبيعة التحول الذي أحدثته، إذ إن كل منهج جديد لا ينشأ في فراغ، بل يتشكل في إطار حوار متواصل مع المناهج التي سبقته، سواء بالاستفادة من منجزاتها أو بمراجعة بعض تصوراتها ومفاهيمها.

أولا– مفهوم المنهج لغة:

لعل أول من استعمل كلمة منهج هم اليونان قديما فهي تعني عندهم: «الطريقة التي يتخذها الفرد، أو النهج Course الذي يجريه ليسرع به إلى تحقيق هدف معيّن، فالمريض مثلا حين يستهدف الشفاء من مرضه يشرب الدواء بنظام معين، ويمتنع عن أكل بعض المطعومات، ويخضع للحقن بدواء يصفه الطبيب، وكل ذلك منهج هذا المريض في الوصول إلى الشفاء»[1].

[1] حسين سليمان قورة: الأصول التربوية في بناء المناهج، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1977، ص237.

وردت لفظة منهج في التنزيل الحكيم في قول الله عز وجل «لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» [المائدة: 48]. ومعناها في هذه الآية الكريمة الطريق الواضح.

أما في معجم "قواميس اللغة" لابن فارس فقد ذكرها بقوله: «النون والهاء والجيم أصلان متباينان الأول: النهج: الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه وهو مستقيم المنهاج والمنهج: الطريق أيضا»[1].

وظهرت في معجم "مختار الصحاح" بقوله: «النهج: الطريق الواضح، وكذا المنهج والمنهاج، وأنهج الطريق أي استبان، وصار نهجا واضحا بيَّنَا ونهجت الطريق إذ أبنته وأوضحته»[2].

ووردت في المعجم الوجيز (مادّةُ نهج) «نهج الطريقُ، نهجًا: وضح واستبان، ونهج الطريقَ: بينه وسلكه، ويقال: نَهج فلان: سلك مسلكه، وانتهج الطريقَ: استبانه وسلكه، واستنهج سبيل فلان: سلك مسلكه، والمِنْهاج الطريق الواضح والخطة المرسومة، ومنه: منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم ونحوهما، (ج) منهاج، والمنهج: المنهاج (ج) منهاج»[3].

يُحيل مفهوم المنهج في مختلف استعمالاته إلى معنى الطريق الواضح المنظم الذي يسلكه الفرد لتحقيق غاية محددة، وهو معنى أكّدته المصادر اللغوية العربية والقرآنية على السواء.

ثانيا– مفهوم المنهج اصطلاحا:

يعني المنهج في الاصطلاح: «مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم»[4].

وإذا كان المنهج في تعريفه المتداول يتمثل في مجموعة من المفاهيم والتصورات المتصلة بالتصورات المتصلة والأدوات والخطوات الإجرائية التي تفضي إلى نتيجة ما، فإن

---

[1] معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، كتاب النون.

[2] مختار الصحاح: الرازي، ص681.

[3] المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية، 1989، 636.

[4] العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي–مجلة البحوث الإسلامية– العدد 58، ص300.

الإشكالية تظهر عند صعوبة ترتيبها وتنسيقها بالشكل الذي يجعلها تؤدي إلى النتيجة المنشودة، ولما كان[1] «النّص عالم مهول من العناصر اللغوية المتشابكة»[2].

يُنظر إلى المنهج –في الاصطلاح– باعتباره نسقًا من المبادئ والخطوات المنظمة التي توجه البحث نحو غاياته، وتزداد الحاجة إليه في دراسة النصوص الأدبية نظرًا لتشابك عناصرها وتعدد مستوياتها، مما يجعل القراءة العلمية رهينة بمنهج قادر على تنظيم عملية التحليل وتوجيهها.

ثالثا– طبيعة النقد الأدبي في فترة ما قبل البنيوية:

1- تشكل المنهج الانطباعي؛ الدراسة السياقية للنص الأدبي:

يمثل المنهج الانطباعي أحد أبرز الاتجاهات النقدية التي سادت قبل ظهور البنيوية، وقد تأسس على اعتبار التجربة الذاتية للناقد منطلقًا أساسيًا في قراءة العمل الأدبي وتقويمه. فالنص، وفق هذا التصور، لا يُدرس من خلال بنيته الداخلية بقدر ما يُنظر إليه من خلال الأثر الذي يتركه في نفس المتلقي وما يثيره من مشاعر وانطباعات، ولذلك اتسمت الأحكام النقدية في كثير من الأحيان بطابعها الشخصي وابتعادها عن الضوابط المنهجية الدقيقة،

وإلى جانب النزعة الانطباعية، برزت الدراسة السياقية للنص الأدبي التي سعت إلى تفسير الأدب بالعودة إلى الظروف التاريخية والاجتماعية والنفسية المحيطة بإنتاجه، فقد كان يُنظر إلى النص بوصفه انعكاسًا لعصره أو ترجمة لتجربة صاحبه، الأمر الذي جعل الاهتمام يتجه نحو العوامل الخارجية أكثر من اهتمامه بخصائص النص وعلاقاته الداخلية، وقد شكل هذا التصور أحد المرتكزات الأساسية التي ستعمل البنيوية لاحقًا على مراجعتها وإعادة النظر فيها فقد «كان النقد التاريخي يربط العمل الأدبي بظروف عصره السياسية

---

[1] ينظر: عبد الله خضر حمد: مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص13.

[2] عبد الله محمد الغذامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصرية، ط4، 1998، ص14.

والاجتماعية، ويجعل النص انعكاسًا مباشرًا للتاريخ»[1] حيث يمثل هذا الاتجاه أحد أبرز المناهج النقدية التي سبقت ظهور البنيوية.

وقد «اعتمد المنهج النفسي على تفسير العمل الأدبي من خلال شخصية المبدع وعقده النفسية»[2]. حيث يقوم المنهج النفسي على ربط النص الأدبي بالحياة النفسية لمبدعه، إذ ينظر إلى العمل الأدبي بوصفه تعبيرًا عن مشاعر الكاتب ورغباته وصراعاته الداخلية، ولذلك اتجه النقاد الذين تبنوا هذا المنهج إلى البحث في الجوانب النفسية للمؤلف ومحاولة تفسير الصور والأفكار والرموز الواردة في النص على ضوء تجاربه الشخصية وما قد يعتريه من أزمات أو عقد نفسية، وبذلك أصبح النص الأدبي يُقرأ باعتباره نافذة تكشف عن العالم النفسي لصاحبه أكثر من كونه بنية فنية مستقلة تستحق الدراسة لذاتها.

أما «النقد الاجتماعي يرى الأدب مرآة للبنية الطبقية والصراع الاجتماعي»[3]. لذلك ينطلق النقد الاجتماعي من فكرة أساسية مفادها أن الأدب لا ينفصل عن الواقع الذي ينتجه، بل يعكس القضايا والتحولات التي يعيشها المجتمع، لذلك يهتم هذا الاتجاه بدراسة العلاقة بين النص الأدبي والبنية الاجتماعية، محاولًا الكشف عن حضور القيم والأفكار والصراعات الطبقية داخله، ومن هذا المنظور يصبح العمل الأدبي وثيقة ثقافية واجتماعية تتيح فهم طبيعة المجتمع وتناقضاته بقدر ما تتيح تذوق أبعاده الفنية والجمالية. فـ«كان النقد التقليدي يهتم بالمؤلف أكثر من اهتمامه بالنص ذاته»[4] حيث يبين هذا القول الفارق الجوهري بين المناهج السياقية والبنيوية كمنهج نسقي والتي جعلت النص مركز التحليل، فقد «اعتمد المنهج الانطباعي على الذوق الشخصي والأثر الوجداني الذي يتركه النص في القارئ»[5].

فالنقد الانطباعي سبق المناهج البنيوية العلمية.

---

[1] محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط 3، 1979، ص 112.

[2] سيغموند فرويد: تفسير الأحلام، تر: مصطفى صفوان، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 2، 1984، ص 287.

[3] جورج لوكاتش: دراسات في الواقعية الأوروبية، تر: نايف بلّوز، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص56.

[4] رولان بارت: موت المؤلف، تر: منذر عياشي، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، المجلد 21، العددان 241 – 232، ص54_59,

[5] طه حسين: حديث الأربعاء، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 5، 1973، ص 18.

فالنقد الأدبي قبل البنيوية كان «يبحث عن المعنى خارج النص، في التاريخ أو المجتمع أو نفسية المؤلف»[1]. يعني ذلك أن المناهج النقدية التي سبقت البنيوية لم تجعل النص الأدبي محور اهتمامها الرئيس، بل كانت تتجه إلى ما يحيط به من عوامل وملابسات خارجية لفهم دلالاته وتفسير معانيه، فالنص كان يُقرأ في ضوء سياقه التاريخي أو واقعه الاجتماعي أو التجربة النفسية لمؤلفه، باعتبار أن هذه العناصر هي المفتاح الحقيقي لفهمه، ومن ثمّ كان الاهتمام منصبًا على المرجعيات الخارجية أكثر من انصبابه على دراسة البنية الداخلية للنص وآليات اشتغالها، فـ «النقد قبل البنيوي كان نقدًا تفسيريًا يسعى إلى تعليل النص بعوامل خارجة عنه»[2].

وقد أضحى التعامل مع هذه المادة أشد تعقيدا وتداخلا- لكونها تتميز عن الظواهر والأنساق الثقافية والمعرفية الأخرى- مما جعل الكثير من النقاد يتساءلون: هل من منهج لفهم النص ونقده؟، ومن هنا تبرز هذه الإشكالية في الصراع الممتدّ بين اتجاهين اثنين:

الاتجاه الأول: يرى أن النص الأدبي علة لمعلول سابق ينبغي الكشف عن دلالاته بربطه بسياقه الخارجي، ويدخل في هذا المجال المناهج الحديثة كالمنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي والانطباعي.

الاتجاه الثاني: بينما يحاول الاتجاه الثاني أن يدرس النص الأدبي انطلاقا من العلاقات الداخلية التي تحكمه كالمنهج الشكلاني والبنيوية والسيميائية والتفكيكية والأسلوبية والتداولية. إلخ[3].

يتضح مما سبق أن النقد الأدبي في مرحلة ما قبل البنيوية كان ينطلق من الاهتمام بالعوامل الخارجية المحيطة بالنص، سواء تعلقت بالمؤلف أو بالمجتمع أو بالظروف التاريخية التي أُنتج فيها العمل الأدبي، وقد أسهمت هذه المناهج في توسيع آفاق القراءة النقدية والكشف عن أبعاد مهمة في الظاهرة الأدبية، غير أنها جعلت النص في كثير من الأحايين وسيلة للوصول إلى ما هو خارج عنه أكثر من جعله موضوعًا للدراسة في ذاته،

---

[1] صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط 1، 1996، ص 77.

[2] عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، المجلس الأعلى للثقافة، الجزائر، الجزائر، ط 1، 2002، ص 61.

[3] ينظر: عبد الله خضر حمد: مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، ص ص13-14.

ومن هنا جاءت البنيوية لتعيد توجيه الاهتمام نحو البنية الداخلية للنص، أي من منظور نسقي، فاتحة بذلك مرحلة جديدة في تاريخ النقد الأدبي.

المحاضرة الثانية: مفهوم النقد البنيوي وتعدد مصطلحاته

تقديم:

يُعد النقد البنيوي من أبرز الاتجاهات النقدية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين على يد مجموعة من الرواد والمنظرين، وقد ارتبط بتحولات معرفية عميقة مست مختلف العلوم الإنسانية، خاصة اللسانيات الحديثة بريادة العالم السويسري فردينان دي سوسير، وقد سعى هذا الاتجاه إلى تجاوز القراءات التي تربط النص بعوامله الخارجية، متجهًا نحو دراسة بنيته الداخلية (النسقية) وكذا العلاقات التي تنتظم عناصره، ومن ثم أصبح النص الأدبي يُنظر إليه بوصفه نسقًا متكاملًا من العلامات والدلالات التي تكتسب معناها من خلال ترابطها داخل بنية لغوية –داخلية– واحدة.

ولم يقتصر الجدل حول البنيوية على مبادئها النظرية وآلياتها الإجرائية، بل امتد إلى المصطلحات والمفاهيم التي استُعملت للدلالة عليها في الكتابات العربية، فقد تداول الباحثون تسميات متعددة مثل: **البنيوية، والبنائية، والهيكلية، والتركيبية**، وهي تسميات تعكس اختلافات في الترجمة والتلقي أكثر مما تعكس اختلافًا في جوهر المنهج البنوي نفسه، ولذلك فإن تحديد مفهوم النقد البنيوي والوقوف عند أهم مصطلحاته يمثلان مدخلًا ضروريًا لفهم هذا الاتجاه النقدي واستيعاب منطلقاته ومعارفه الأساسية.

أولا– مفهوم البنية والبنيوية:

يشكل مفهوما "البنية" و"البنيوية" المدخل الأساسي لفهم هذا الاتجاه النقدي واستيعاب منطلقاته النظرية، فالبنيوية لم تنشأ بوصفها منهجًا نقديًا جاهزًا، بل تأسست أولًا على مفهوم البنية الذي أصبح محورًا للعديد من الدراسات اللسانية الحديثة كما ذكرنا آنفا، ومن هنا ارتبطت البنيوية بفكرة النظر إلى الظواهر المختلفة باعتبارها أنساقًا مترابطة تتحدد قيم عناصرها من خلال العلاقات التي تجمع بينها داخل كلٍّ منظم، ولذلك فإن فهم النقد البنيوي يقتضي الوقوف عند دلالة البنية بوصفها مفهومًا نظريًا، ثم الانتقال إلى البنيوية باعتبارها منهجًا يسعى إلى الكشف عن العلاقات الداخلية التي تنتظم عناصر النص وتمنحه وحدته ودلالته، وقد حظي هذان المفهومان باهتمام واسع في الدراسات النقدية، الأمر الذي أدى

إلى تعدد تعريفاتهما وتنوع المقاربات التي تناولتهما حيث «تشتق البنيوية من البنية، فإن كلمتي البنية (Structure) بالرسم الفرنسي والإنجليزي الموحد أو Structura اللاتينية والبناء (Construction بالرسم الموحد أيضا مع فارق في النطق، أو Constructio اللاتينية) كلتيهما تمتدان إلى الفعل الفرنسي "Détruire" بمعنى: (الهدم والتقويض والتخريب) الذي يمتد تأثيله إلى الفعل اللاتيني "Struere" بمعنى: تنضيد المواد Empiler des Matériaux، أو التأسيس والبناء والتشييد (Bàtir) كما لأن الفعل اللاتيني المتكئ على القاعدة (Stru) ينحدر من الصيغة الهندو أوروبية (STER) بمعنى: المد والنشر والبسط والتوسع (Etendre)»[1].

«وقد حصر جون بياجي خصائص البنية في ثلاث عناصر:

- **الكلية: La Totalité** التي تحيل على التماسك الداخلي للعناصر التي ينتظمها النسق.

- **التحولات: Les Transformations** التي تفيد أن البنية نظام من التحولات لا يعرف الثبات، فهي دائمة التحول والتغير وليست شكلا جامدا

- **الضبط الذاتي: L'autoréglage**»[2].

و«إذا كان مصطلح (البنيوية: Structuralisme) في ذاته، أولا وأساسا، هو العنوان الجامع الذي أبدعه العالم اللغوي الكبير رومان جاكبسون R-Jakobson 1896-1982 عام 1926 لوصف الأعمال النظرية لحلقة براغ اللغوية»[3].

«لقد تُرجم مصطلح Structuralisme إلى "البنيوية"، وهي ترجمة استقرت في النقد العربي المعاصر رغم تعدد المقترحات الأولى»[4].

يوضح هذا الاقتباس مسار استقرار المصطلح في الثقافة النقدية العربية.

---

[1] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي، العربي الجديد، منشورات الاختلاف، العاصمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص121.

[2] المرجع نفسه: ص121.

[3] ديفيد بشبندر: نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، تر: عبد المقصود عبد الكريم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1996، ص53.

[4] صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1، 1998، ص 15.

«استُعملت في البداية تسميات مثل البنائية والبنوية، غير أنّ مصطلح البنيوية أصبح الأكثر شيوعًا»[1].

يبين هذا النص اختلاف الترجمات العربية للمصطلح قبل استقرار الاستعمال النقدي.

«ترجمة البنيوية أقرب إلى روح المصطلح الفرنسي لأنها تُحيل إلى مفهوم البنية لا إلى البناء»[2].

يبرز هذا القول البعد الدلالي في اختيار المقابل العربي للمصطلح الغربي.

«شهد الخطاب النقدي العربي اضطرابًا في نقل مصطلح Structuralisme بين البنائية والبنيوية»[3]. حيث يعكس اضطراب الخطاب النقدي العربي في ترجمة مصطلح Structuralisme حجم الصعوبات التي صاحبت استقبال المناهج النقدية الحديثة ونقلها إلى الثقافة العربية، فقد تردد الباحثون بين استعمال مصطلحي "البنائية" و"البنيوية"، وهو تردد لم يكن ناتجًا عن اختلاف لغوي فحسب، بل ارتبط بمحاولات فهم الخلفيات الفكرية والمنهجية التي يحملها المصطلح في سياقه الأصلي، ومن هنا فإن اختيار مصطلح "البنيوية" لم يكن مجرد مسألة ترجمة أو مقابلة لغوية، وإنما كان تعبيرًا عن موقف معرفي يسعى إلى استيعاب طبيعة هذا الاتجاه النقدي وتمثّل أسسه النظرية داخل البيئة الثقافية العربية، و«إن اختيار مصطلح البنيوية لم يكن مجرد نقل لغوي، بل كان اختيارًا ثقافيًا ومنهجيًا»[4]. حيث يشير هذا القول إلى أن ترجمة المصطلحات النقدية لا تقتصر على إيجاد مقابل لغوي لها في العربية، بل تتجاوز ذلك إلى استيعاب ما تحمله من خلفيات فكرية ومنهجية. فاختيار مصطلح "البنيوية" كان مرتبطًا بمحاولة نقل تصور نقدي متكامل قائم على دراسة البنى والعلاقات الداخلية للظواهر الأدبية، وليس مجرد نقل لفظ أجنبي إلى لغة أخرى، ولذلك ارتبط المصطلح بطبيعة التلقي العربي للمناهج الحديثة وبالجهود التي بذلها النقاد لتكييفها مع السياق الثقافي والمعرفي العربي فـ«استقر الاستعمال العربي على لفظ

---

[1] عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، تونس، ط 2، 1982، ص 44.

[2] محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 6، 2000، ص 21.

[3] عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغرابة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2006، ص 33.

[4] كمال أبو ديب: في البنيوية التكوينية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1981، ص 11.

البنيوية لأنه الأقرب إلى الدلالة الاصطلاحية في الفكر الغربي الحديث».[1] ويعكس هذا القول تطور الوعي الاصطلاحي في الدراسات النقدية العربية حول اصطلاحات البنيوية.

فـ«البنيوية ترجمة عربية شاعت مع المدّ اللساني والنقدي في ستينيات القرن العشرين»[2].

ومن ثمّ فإن شيوع مصطلح "البنيوية" في النقد العربي لم يكن مجرد حدث لغوي عابر، بل ارتبط بمرحلة كاملة من التحول المعرفي الذي عرفته الدراسات الأدبية في تلك الفترة، فقد مثّل هذا المصطلح بوابةً لاستقبال مناهج حديثة أعادت النظر في طرق قراءة النصوص، ودفعت نحو التركيز على البنية الداخلية بدل الاكتفاء بالعوامل الخارجية، وبذلك أصبح حضور البنيوية علامة على انتقال النقد العربي من مرحلة التلقي الانطباعي والسياقي إلى مرحلة البحث عن آليات تحليل أكثر دقة وتنظيمًا.

ثانيا– المفاهيم والمبادئ الكبرى التي أشاعتها البنيوية:

أسهمت البنيوية في إحداث تحول عميق في طريقة التفكير في اللغة والنص الأدبي، من خلال إدخال مجموعة من المفاهيم الإجرائية التي أعادت تنظيم النظر إلى الظواهر اللغوية والدلالية، ولم تعد اللغة تُفهم بوصفها مجرد وسيلة للتواصل، بل أصبحت نسقًا من العلاقات الداخلية التي تحدد قيمة العناصر من خلال موقعها داخل النظام العام، ومن هنا برزت مفاهيم أساسية مثل اللغة والكلام، والتزامن والتعاقب، والحضور والغياب، ونظام العلاقات وهي مفاهيم شكلت الإطار النظري الذي اعتمدته البنيوية في تحليل النصوص والكشف عن بنيتها العميقة، وهي:

1– اللغة والكلام: Langue–Parole

يُعدّ التمييز بين "اللغة" و"الكلام" من أهم المفاهيم التي أسست لها اللسانيات الحديثة، والتي تبنّتها البنيوية لاحقًا بوصفها مدخلًا لفهم الظواهر اللغوية والأدبية، فاللغة (Langue)

[1] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر، ط 1، 2009، ص 97.

[2] عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط 1، 1985، ص 49.

تُحيل إلى النظام العام والقواعد المشتركة التي يتقاسمها أفراد الجماعة اللغوية، وهي بذلك تمثل البنية المجردة التي تسبق الاستعمال الفردي وتنظمه، أما الكلام (Parole) فيمثل الاستعمال الفردي والفعلي لهذا النظام داخل سياقات محددة، حيث يتجسد في إنتاجات لغوية مختلفة تحمل بصمة المتكلم وظروفه الخاصة، وقد استفادت البنيوية من هذا التمييز في مقاربة النصوص الأدبية، إذ جعلت اهتمامها ينصبّ على البنية اللغوية المشتركة والقوانين الداخلية التي تحكم النص، أكثر من تركيزها على الاستعمالات الفردية أو السياقات الخارجية المرتبطة بالمؤلف، وبذلك أصبح النص يُنظر إليه بوصفه تحققًا خاصًا لنظام لغوي عام، فقد نهض المشروع البنيوي «مرتكزا على علم اللغة الحديث ومنطلقا من تمييز دي سوسير بين اللغة والكلام، فاللغة نظام ومؤسسة ومجموعة من القواعد والمعايير التواصلية، بينما يشتمل الكلام على التجليات الفعلية للنظام في فعلي النظام والكتابة، ومن اليسير الخلط بين النظام وتجلياته»[1]. ويُفضي هذا الخلط إلى إغفال الطابع النظامي للغة، والوقوع في قراءة سطحية تكتفي بوصف الاستعمالات الفردية دون إدراك القوانين الكامنة التي تحكم اشتغالها بوصفها بنية من العلاقات الداخلية المنتظمة فـ«الفصل بين اللغة والكلام ليس إلا فصلا لغايات الدراسة العلمية، ولكن العلاقة بينهما تمثل علاقة الكل بالجزء، فاللغة هي الكل والكلام هو الجزء واللغة عنده نظام اجتماعي مستقل عن الفرد ولا شعوري، إذ هي تمثل مجموعة القوانين والقواعد العامّة التي تتحكم في إنتاج الكلام، وهي تمثل السلطة التجريدية المتعالية التي يستمد منها الكلام اختياراته الفعلية، أما الكلام فهو التطبيق الفعلي لهذه القوانين والقواعد العامة والمستوى الفردي المشخص منها، ولذلك فالكلام يتنوع بتنوع الأفراد»[2].

حيث ويؤكد هذا التصور أن الفصل بين اللغة والكلام ليس فصلًا مطلقًا في الواقع، وإنما هو إجراء منهجي فرضته الحاجة إلى الدراسة العلمية الدقيقة للظاهرة اللغوية، فالعلاقة بينهما علاقة تكامل، الأول يكمل الثاني والعكس، إذ تمثل اللغة البنية الكلية التي تنتظم

[1] ينظر: كللر: جوناثان كللر: الشعرية البنيوية، تر: السيد إمام، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، 2000م، ص26.

[2] عبد الله إبراهيم وآخرون: معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996م، ص44.

داخلها القواعد العامة المشتركة، بينما يشكل الكلام الجزء التطبيقي الذي تتجسد فيه هذه القواعد في استعمالات فردية متعددة.

ومن هذا المنظور تُفهم اللغة بوصفها نظامًا اجتماعيًا مستقلًا عن الفرد وخارجًا عن وعيه المباشر، إذ إنها تمثل السلطة التجريدية التي تضبط إمكانات القول وتحدد شروطه، أما الكلام فهو التحقق الفعلي لهذه الإمكانات داخل سياقات مختلفة، يتلون بتعدد المتكلمين وتنوع ظروفهم، دون أن يخرج عن الإطار العام الذي ترسمه اللغة بوصفها نسقًا من القواعد المنظمة.

2- نظام العلاقات: Relations system

نظام العلاقات هو المبدأ الثاني لعلم اللغة «الذي استند إليه البنيويون فهو أن اللغة نظام من العلاقات والتعارضات التي يجب أن تتحدد عناصرها على أساس شكلي وتخالفي، ولعل أهم الدروس في الثورة الفونولوجية بالنسبة لليفي شتراوس، هو رفضه التعامل مع العناصر باعتبارها كيانات مستقلة، وتركيزه بدلا من ذلك على العلاقات بين هذه العناصر، فالوحدات ليست كيانات مستقلة بذاتها، وإنما هي عُقَدٌ تلتقي عندها سلسلة من الاختلافات، تماماً كالنقطة الرياضية التي ليس لها مضمون في حد ذاتها، وإنما يتحدّد مضمونها على ضوء علاقتها بغيرها من النقاط»[1]. يُعدّ مفهوم نظام العلاقات من أهم المبادئ التي قامت عليها البنيوية، إذ ينطلق من فكرة أساسية مفادها أن اللغة ليست مجموعة من العناصر المستقلة، بل هي شبكة من العلاقات والتعارضات التي تتحدد فيها قيمة كل عنصر من خلال موقعه داخل النسق العام، وبناءً على ذلك، لا تُفهم الوحدات اللغوية في ذاتها، وإنما من خلال ما تقيمه من علاقات مع غيرها، سواء كانت علاقات تشابه أو اختلاف أو تقابل.

وقد استفاد "ليفي شتراوس" من هذا التصور، خاصة في ضوء الثورة الفونولوجية، حيث رفض النظر إلى العناصر بوصفها كيانات قائمة بذاتها، وركز بدل ذلك على البنية العلائقية التي تنتظم داخلها، فالوحدات اللغوية ليست إلا نقاط التقاء لسلسلة من الفروق

[1] جوناثان كللر: الشعرية البنيوية، ص28-29.

والاختلافات، تمامًا كما هو الحال في النقطة الرياضية التي لا تحمل معنى مستقلًا، وإنما تكتسب دلالتها من موقعها وعلاقتها ببقية النقاط داخل النظام.

3- التزامن والتعاقب: Synchronic and diachronic

هذه الثنائية من الثنائيات التي طرحها العالم السويسري دي سوسير «وطورها البنيويون ... فالتزامن هو زمن حركة العناصر فيما بينها في زمن واحد هو زمن نظامها داخل البنية، أما التعاقب فيمثل زمن تخلخل البنية أو زمن تهدّم العنصر الذي يعبر عنه أحيانا بانفتاح البنية على الزمن، فدراسة لغة ما في نظامها الثابت في لحظة زمنية معينة يندرج تحت التزامن، وبهذا تكون الدراسة التزامنية دراسة وصفية وثابتة ومستقلة عن جميع الظواهر والمتغيرات، أما دراسة المتغيرات المتحققة في اللغة ومتابعتها خلال الزمن فيندرج تحت التعاقب وبهذا تكون الدراسة التعاقبية دراسة تاريخية»[1].

وتكمن أهمية هذا التمييز في كونه يحدد زاوية النظر إلى الظاهرة اللغوية؛ فالدراسة التزامنية تركز على اللغة في لحظة زمنية معينة باعتبارها نظامًا مكتملًا ومستقرًا، دون العودة إلى تاريخ تشكلها أو مراحل تطورها، ومن ثم فهي دراسة وصفية تهتم بكشف العلاقات الداخلية بين عناصر النظام اللغوي كما هي قائمة في لحظة زمنية محددة.

أما الدراسة التعاقبية فتنصرف إلى تتبع تطور اللغة عبر الزمن، من خلال رصد التحولات التي تطرأ على بنيتها الصوتية أو الصرفية أو الدلالية، فهي دراسة تاريخية تهتم بمسار التغير أكثر من اهتمامها بالبنية المستقرة.

وقد منح هذا التمييز البنيوية أداة منهجية مهمة، إذ جعلها تميل إلى تفضيل التحليل التزامني باعتباره الأقرب إلى فهم البنية في حالتها المكتملة، في حين اعتبرت البعد التعاقبي أقل أهمية في التحليل البنيوي، لأنه يرتبط بالتغيرات الخارجية التي لا تكشف بالضرورة عن منطق النظام الداخلي للغة.

---

[1] عبد الله خضر حمد: مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، ص147-148.

4-الحضور والغياب: Presence and absence

تمثل ثنائية الحضور والغياب أحد المفاهيم المركزية في التفكير البنيوي، إذ ترتبط بفكرة أن دلالة العناصر داخل النص لا تتحدد فقط بما هو ظاهر وموجود فيه، بل أيضًا بما هو غائب أو غير مصرح به، فالحضور يحيل إلى العناصر اللغوية والدلالية التي تتجلى فعليًا في الخطاب، بينما يشير الغياب إلى العناصر التي لا تُذكر مباشرة لكنها تظل حاضرة بشكل ضمني من خلال العلاقات والإيحاءات التي يخلقها النص فـ«إذا كان الدال هو الصورة الصوتية للمدلول أو للتصّور الذهني، فإن المدلول هو الجانب الذهني للدال (الصورة الصوتية)، أما العلاقة فهي اتحاد الصورة الصوتية مع التصور الذهني أو هي الكل المتآلف من دال ومدلول»[1].

وقد استفادت البنيوية من هذا التصور في تحليل النصوص الأدبية، حيث لم تعد القراءة تقتصر على المعطى المباشر، بل أصبحت تبحث في البنى العميقة التي ينتجها النص من خلال علاقاته الداخلية، فالمعنى لا يتشكل فقط مما يُقال، وإنما أيضًا مما يُستبعد أو يُفترض حضوره ضمنيًا، وهو ما يجعل عملية التأويل أكثر ارتباطًا بشبكة العلاقات التي ينتظم فيها الخطاب الأدبي.

[1] المرجع السابق: ص 148.

المحاضرة الثالثة: الأصول الفلسفية للنقد البنيوي

تمهيد:

لا يمكن فهم النقد البنيوي بمعزل عن خلفياته الفلسفية التي أسهمت في تشكيل تصوراته الأساسية حول اللغة والنص والمعنى، فقد استفاد هذا الاتجاه من تحولات فكرية عميقة مست الفلسفة الحديثة، خاصة تلك التي أعادت النظر في مفهوم الذات والمعرفة والعلاقة بين الفكر والواقع، ومن ثم فإن الأصول الفلسفية للبنيوية لا تُعد مجرد خلفية نظرية، بل تشكل الإطار الذي انبنت عليه مفاهيمها الإجرائية في تحليل النصوص الأدبية.

أولا- تجاوز مركزية الذات في الفلسفة الحديثة:

تقوم البنيوية على نقد التصورات الفلسفية التي جعلت من الذات الفردية مركزًا لإنتاج المعنى، إذ اتجهت إلى تقليص دور الوعي الفردي لصالح البنى الموضوعية التي تحكم الظواهر الإنسانية، فالمعنى، في التصور البنيوي، لا يصدر عن نية المؤلف أو تجربته الذاتية، بل يتشكل داخل أنظمة من العلاقات اللغوية والثقافية التي تتجاوز الفرد وتسبق وجوده.

ثانيا- مفهوم البنية كبديل عن التفسير الجوهري:

اعتمد الفكر البنيوي على مفهوم البنية بوصفه بديلًا عن التفسيرات الجوهرية التي تبحث عن المعنى في عناصر منفردة أو في أسباب خارجية مباشرة، فالبنية تُفهم باعتبارها نسقًا من العلاقات الداخلية التي تمنح العناصر قيمتها ودلالتها، مما يعني أن فهم أي ظاهرة إنسانية يمر عبر تحليل بنيتها لا عبر البحث عن جوهر ثابت خلفها، وقد أسهم هذا التصور في إعادة صياغة طريقة التفكير في اللغة والأدب بوصفهما أنساقًا منظمة وليست معطيات معزولة.

ثالثا- المنطلقات الفلسفية للبنيوية:

تستند البنيوية، في خلفيتها العميقة، إلى مجموعة من المنطلقات الفلسفية التي أسهمت في إعادة تشكيل طريقة النظر إلى الإنسان واللغة والمعرفة، فهي لا تُعد مجرد منهج إجرائي

في تحليل النصوص، بل هي تصور فكري يقوم على إزاحة مركزية الذات الفردية لصالح البنى والأنساق التي تتحكم في إنتاج المعنى، ومن هنا فإن فهم النقد البنيوي يقتضي الوقوف عند أصوله الفلسفية التي مهدت لظهوره، والتي جعلت من مفاهيم النظام والبنية والعلاقات أدوات أساسية في تفسير الظواهر الإنسانية والأدبية «إنّ اللغة نظام من العلامات، ولا تُعرَّف عناصره إلا بعلاقاتها المتبادلة داخل النسق»[1].

يُعد هذا التصور السوسيري من أهم الجذور الفلسفية والمنهجية للبنيوية، إذ أسّس لفكرة البنية بوصفها شبكة علاقات لا مجموعة عناصر منفصلة فـ«العناصر لا تملك قيمة في ذاتها، وإنما تستمد قيمتها من اختلافها عن العناصر الأخرى»[2]. حيث تكشف هذه الفكرة عن الأصل الفلسفي البنيوي القائم على مبدأ الاختلاف والعلاقات الداخلية داخل النسق.

«البنيوية لا تهتم بالعناصر المفردة بقدر اهتمامها بالعلاقات التي تنتظم هذه العناصر»[3].

ومن ثمّ فإن هذا التصور يعكس تحولًا منهجيًا عميقًا في الدراسات الإنسانية، حيث لم يعد التحليل ينصب على وصف العناصر أو تفسيرها بشكل معزول، بل أصبح يركز على كيفية انتظامها داخل بنية كلية تحكمها قوانين نسقية داخلية، وهذا ما جعل البنيوية تتجاوز المقاربات التقليدية (السياقية) التي كانت تميل إلى التفسير الخارجي أو التجزيئي، لتؤسس لقراءة ترى في العلاقات شبكة دلالية متكاملة تتحدد داخلها قيمة كل عنصر بوظيفته وموقعه، لا بذاته المستقلة، لذلك فـ«إنّ العقل الإنساني يعمل وفق بنيات ثابتة كامنة خلف الظواهر الاجتماعية والأسطورية»[4]. حيث يبرز هذا الاقتباس الخلفية الفلسفية التي تربط البنيوية بفكرة القوانين الكلية المنظمة للفكر الإنساني، و«ترجع الأصول المشتركة للبنيوية إلى اللسانيات التي أسّسها دي سوسير»[5].

---

[1] فرديناند دي سوسير: دروس في اللسانيات العامة، تر: صالح القرمادي وآخرون، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، ص 166.

[2] فرديناند دي سوسير: دروس في اللسانيات العامة، تر: يوسف غازي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 2، 2004، ص 121.

[3] كلود ليفي شتراوس: الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 3، 1985، ص 34.

[4] كلود ليفي شتراوس: البنى الأولية للقرابة، تر: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1982، ص 57.

[5] جون ستروك: البنيوية وما بعدها: من ليفي شتراوس إلى دريدا، تر: محمد عصفور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 15.

«قامت البنيوية على أسس فلسفية هي خلاصة جدل بين التيار المثالي والتيار المادي»[1].

ومن ثمّ فإن هذا التداخل بين المرجعيات الفلسفية أتاح للبنيوية أن تتبلور في صيغة وسطية تجمع بين نقد مركزية الذات من جهة، والاهتمام بالأنساق الموضوعية من جهة أخرى. وهو ما جعلها تتبنى تصورًا يرى أن الظواهر الإنسانية، ومنها اللغة والأدب، تخضع لقوانين بنيوية مستقلة نسبيا عن نوايا الأفراد ووعيهم، وتُفهم من خلال تحليل العلاقات التي تنتظم داخلها، لا من خلال ردّها إلى أسباب خارجية أو تأويلات ذاتية محضة، فـ«البنيوية ظهرت أولاً في الأنثروبولوجيا قبل أن تمتد إلى مختلف العلوم الإنسانية»[2].

يشير هذا القول إلى أن مسار تشكل البنيوية لم يكن مقتصرًا على حقل واحد، بل انطلق في البداية من الأنثروبولوجيا قبل أن يتسع ليشمل مختلف العلوم الإنسانية، فقد أسهمت الدراسات الأنثروبولوجية، خاصة مع كلود ليفي ستراوس، في بلورة التصور البنيوي من خلال تحليل الأساطير وأنظمة القرابة بوصفها أنساقًا قائمة على علاقات داخلية منتظمة، ومن هذا المنطلق، انتقلت البنيوية من مجالها الأنثروبولوجي إلى مجالات أخرى مثل: اللسانيات والنقد الأدبي وعلم النفس، حيث تم توظيف فكرة "البنية" كإطار عام لفهم الظواهر الإنسانية، وبذلك أصبحت البنيوية منهجًا عابرًا للتخصصات، يقوم على دراسة الأنظمة بدل الوقوف عند العناصر المنفردة، وعلى الكشف عن العلاقات بدل الاكتفاء بوصف الظواهر في شكلها الظاهري.

خاتمة:

يتبين من خلال هذا المحور: الأصول الفلسفية للنقد البنيوي أن هذا الاتجاه لم ينشأ بوصفه مقاربة نقدية معزولة، بل هو نتيجة تفاعل معرفي مع مجموعة من التحولات الفلسفية واللسانية والأنثروبولوجية، فقد أسهمت هذه الخلفيات في إعادة تشكيل مفهوم الذات والمعرفة والمعنى، من خلال الانتقال من الاهتمام بالوعي الفردي إلى التركيز على البنى والأنساق التي تنظم الظواهر الإنسانية.

---

[1] فرح عبد الغني: مقال في نشأة المنهج البنيوي وتطوره، موضوع، 2023، الصفحة الإلكترونية: فقرة "نشأة المنهج البنيوي في الفلسفة".

[2] بن عزوز حليمة: مقال حول حقيقة الأنثروبولوجيا البنيوية وآفاق الاستفادة من جهود كلود ليفي شتراوس، مجلة الفكر المتوسطي، جامعة جيجل، الجزائر، المجلد: 9، العدد: 2، 2020، ص 72.

ومن ثمّ فإن البنيوية تمثل تصورًا فلسفيًا قبل أن تكون مجرد منهج إجرائي، إذ تقوم على فكرة مركزية مفادها أن المعنى لا يُستمد من العناصر المنفردة، بل من العلاقات التي تربطها داخل نظام كلي، وبذلك أسست البنيوية لمرحلة جديدة في التفكير النقدي، أعادت النظر في طرائق قراءة النصوص وفهم الظواهر الأدبية ضمن رؤية بنيوية شاملة.

المحاضرة الرابعة: الأصول اللسانية للنقد البنيوي

تقديم:

تُعدّ الأصول اللسانية للنقد البنيوي من أهم المرتكزات التي قامت عليها البنيوية، إذ ارتبط هذا الاتجاه منذ بداياته الأولى بالتحولات العميقة التي عرفها علم اللغة الحديث، خاصة مع أعمال السويسري "فردينان دي سوسير" الذي أعاد صياغة مفهوم اللغة بوصفها نظامًا من العلامات والعلاقات الداخلية، وقد أسهم هذا التحول في نقل الاهتمام من دراسة اللغة بوصفها مجرد وسيلة للتواصل إلى اعتبارها بنية مستقلة تحكمها قوانين داخلية دقيقة، وانطلاقًا من هذا الأساس اللساني، استثمرت البنيوية مفاهيم محورية مثل: ثنائية اللغة والكلام، ونظام العلاقات، والتزامن والتعاقب، والعلامة اللغوية (الدال والمدلول)، حيث أصبحت هذه المفاهيم أدوات إجرائية في تحليل النصوص الأدبية والكشف عن بنيتها العميقة.

تتأسس الأصول اللسانية للنقد البنيوي على المنجز اللساني الحديث، وبخاصة على اللسانيات السوسيرية التي أعادت صياغة مفهوم اللغة بوصفها نظامًا من العلامات تحكمه علاقات داخلية دقيقة. وقد شكّلت هذه الرؤية نقطة تحول حاسمة في تاريخ الدراسات اللغوية، إذ انتقلت باللغة من كونها وسيلة تعبير فردي إلى كونها بنية اجتماعية قائمة بذاتها، وهو ما مهّد لاحقًا لانتقال هذه المفاهيم إلى الحقل النقدي الأدبي.

أولا- اللغة بوصفها نظامًا من العلامات:

يرى دي سوسير أن اللغة ليست مجموعة مفردات معزولة، بل نظام متكامل من العلامات، لا تكتسب فيه العناصر قيمتها إلا من خلال علاقاتها داخل البنية الكلية. وقد أسهم هذا التصور في تأسيس الرؤية البنيوية التي تعتبر النص الأدبي بنية لغوية مغلقة نسبيًا، تُفهم من خلال علاقاتها الداخلية لا من خلال مرجعيات خارجية، و«تعود البنيوية في أصولها الأولى إلى الدرس اللساني الذي أسسه فرديناند دي سوسير، حين نظر إلى اللغة بوصفها نسقًا من العلاقات لا مجموعة من المفردات المنعزلة»[1].

[1] Ferdinand de Saussure ، دروس في اللسانيات العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، الجزائر، ط1، 1986، ص 33.

يقول عبد الله خضر حمد: «ظهرت البنيوية اللسانية في منتصف العقد الثاني من القرن العشرين مع رائده فردينان دي سوسير من خلال كتابه محاضرات في اللسانيات العامة، الذي نشر في باريس سنة 1916م، وقد أحدثت هذه اللسانيات ابستيمولوجية "معرفية" مع فقه اللغة والفيلولوجيا الدياكرونية»[1]. ومن ثمّ فقد فتحت هذه القطيعة المنهجية المجال أمام تصور جديد للغة يقوم على دراسة البنى الثابتة بدل التحولات التاريخية، وعلى تحليل العلاقات الداخلية بدل الاقتصار على البحث في الأصول والتطورات، وقد كان لهذا التحول أثر بالغ في إعادة تشكيل مناهج البحث في العلوم الإنسانية، إذ أصبحت اللغة نموذجًا إجرائيًا يُحتذى به في دراسة الظواهر الثقافية والأدبية، بما فيها النصوص الأدبية التي صارت تُفهم باعتبارها أنساقًا من العلامات تخضع لقوانين داخلية دقيقة، فـ«البنيوية ليست مذهبًا موحدًا، بل اتجاه فكري تشكل من تفاعل اللسانيات والأنثروبولوجيا والنقد الأدبي»[2].

ويؤدي هذا التداخل بين هذه الحقول إلى إبراز خاصية أساسية في البنيوية، وهي طابعها العابر للتخصصات، حيث لم تعد مقتصرة على دراسة اللغة في حدودها اللسانية، بل امتدت إلى تحليل الظواهر الإنسانية المختلفة باعتبارها أنساقًا بنيوية قابلة للوصف والتفكيك، وبهذا المعنى، فإن وحدة البنيوية لا تكمن في تجانس مناهجها بقدر ما تكمن في وحدة التصور المعرفي الذي يحكمها، والمتمثل في البحث عن البنى العميقة التي تنتظم الظواهر وتحدد دلالاتها داخل نظام من العلاقات الداخلية فقد«ارتبطت نشأة البنيوية بمحاولة إقامة علم للثقافة يماثل في دقته العلوم الطبيعية»[3].

ومن ثمّ فقد سعت البنيوية إلى تجاوز الطابع التأويلي والانطباعي الذي كان يميز كثيرًا من الدراسات الإنسانية، من خلال اعتماد منهج وصفي يقوم على الدقة والتجريد والبحث عن القوانين العامة التي تحكم الظواهر الثقافية، فكما تُدرس الظواهر الطبيعية في ضوء علاقات ثابتة نسبيًا، حاولت البنيوية أن تنظر إلى اللغة والأدب والثقافة باعتبارها أنساقًا

---

[1] عبد الله خضر حمد: مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، ص125.

[2] John Sturrock، البنيوية وما بعدها: من ليفي شتراوس إلى دريدا، تر: محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، الكويت، ط1، 1996، ص 17.

[3] Simon Clarke، أسس البنيوية: نقد ليفي شتراوس والحركة البنيوية، تر: سعيد العليمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2015، ص 21.

قابلة للتحليل العلمي، تخضع لقواعد داخلية يمكن الكشف عنها عبر دراسة البنى والعلاقات بدل الاكتفاء بالمظاهر الخارجية أو الأحكام الذاتية و«إن البنيوية الفرنسية بلغت ذروة تأثيرها في ستينيات القرن العشرين عندما توسعت من اللسانيات إلى مجالات الفكر كافة»[1]. وقد ارتبط هذا التوسع بظهور أسماء بارزة في الفكر الفرنسي، مثل كلود ليفي شتراوس في الأنثروبولوجيا، ورولان بارت في النقد الأدبي، الذين عملوا على نقل المفاهيم اللسانية إلى تحليل الظواهر الثقافية والأدبية، ومن خلال هذا الامتداد، أصبحت البنيوية إطارًا عامًا لتحليل البنى العميقة التي تحكم مختلف أشكال الإنتاج الإنساني، سواء تعلق الأمر بالأسطورة أو الأدب أو الخطاب الثقافي، مما جعلها أحد أهم التيارات الفكرية المؤثرة في القرن العشرين، و«يرجع الفضل في التأسيس الحقيقي للبنيوية إلى تصور اللغة باعتبارها نظامًا من العلامات يقوم على الاختلاف والعلاقات»[2].

ويعني هذا التصور أن قيمة كل علامة لغوية لا تنبع من معناها في حد ذاته، بل من موقعها داخل النظام العام وعلاقتها بالعلامات الأخرى التي تحيط بها، فالدلالة تتحدد من خلال الفروق والاختلافات الجوهرية التي تميز العناصر بعضها عن بعض داخل البنية، وليس من خلال جوهر ثابت لكل عنصر على حدة، وقد أسهم هذا الفهم في إرساء الأساس النظري الذي اعتمدته البنيوية لاحقًا في دراسة النصوص الأدبية، حيث أصبح الاهتمام منصبًّا على شبكة العلاقات الداخلية بوصفها المصدر الحقيقي لإنتاج المعنى.

ثانيا– العلامة اللغوية (الدال والمدلول):

تقوم العلامة اللغوية على اتحاد الدال والمدلول، حيث يمثل الدال الصورة الصوتية، بينما يمثل المدلول المفهوم الذهني المقابل له، وقد أدى هذا التصور إلى ترسيخ فكرة أن المعنى ليس معطى جاهزًا، بل هو نتاج علاقة داخل نظام لغوي متكامل، حيث «انبثقت

---

[1] Leonard Jackson: البنيوية الفرنسية، ليفي شتراوس، لاكان، ألتوسير، فوكو، دريدا، تر: ثائر ديب، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 1997، ص 14

[2] صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 27.

البنيوية الحديثة من محاولة الكشف عن القوانين الداخلية التي تحكم الظواهر الإنسانية والثقافية بعيدًا عن التفسير التاريخي التقليدي»[1].

ومن ثمّ فقد اتجهت البنيوية إلى إرساء منهج وصفي تحليلي يركز على البنية بدل الحدث، وعلى النظام بدل التسلسل التاريخي، وذلك بهدف الوصول إلى القواعد الثابتة التي تنتظم داخلها الظواهر، وقد أدى هذا التحول إلى إعادة النظر في طرق دراسة اللغة والأدب والثقافة، حيث لم تعد تُفهم باعتبارها نتاجات تاريخية متغيرة فحسب، بل بوصفها أنساقًا لها منطق داخلي يمكن الكشف عنه عبر تحليل العلاقات بين عناصرها، و«لقد نقلت البنيوية مركز الاهتمام من المؤلف والتاريخ إلى البنية الداخلية للنص وعلاقاته المتشابكة»[2].

ويعني هذا التحول أن قراءة النص الأدبي لم تعد تنطلق من البحث في شخصية المؤلف أو الظروف التاريخية المحيطة به، بل أصبحت تركز على النص نفسه بوصفه كيانًا قائمًا بذاته، فقد أولت البنيوية أهمية خاصة للعلاقات الداخلية التي تربط عناصر النص بعضها ببعض، باعتبارها المصدر الحقيقي لإنتاج المعنى، مما جعل التحليل ينصب على البنية اللغوية والدلالية بدل العوامل الخارجية.

ويرى الباحث إبراهيم السعافين أن «حين ذكر أن البنيوية ابنة حضارة معينة تنتمي إليها وتحاور منجزاتها المادية والروحية، إنها ذات صلة وثيقة بحركة الحداثة من جانب، وبالدراسات اللغوية الحديثة ومدرسة النقد الجديد من جانب آخر»[3].

ومن هذا المنظور، فإن البنيوية لا تُقرأ بوصفها قطيعة تامة مع ما سبقها بقدر ما تُفهم كمرحلة تركيبية أعادت تنظيم مكتسبات سابقة داخل إطار نظري جديد أكثر صرامة، فقد جمعت بين الحس اللساني الدقيق الذي وفرته الدراسات اللغوية الحديثة، وبين النزعة النصية التي أكدتها اتجاهات النقد الجديد، وأضافت إليها رؤية حداثية تميل إلى تفكيك مركزية

---

[1] Claude Lévi-Strauss، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 1977، ص 41.

[2] Roland Barthes، نقد وحقيقة، تر: منذر عياشي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص 52.

[3] ينظر: إبراهيم السعافين: مقال بعنوان: إشكالية القارئ في النقد الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصر، العددان 60-61، ك 2، 1989م، ص27.

الذات والبحث عن القوانين الداخلية التي تحكم البنى الثقافية، وهكذا تشكلت البنيوية في تفاعل مع محيطها الفكري، مما جعلها حركة نقدية عابرة للمعرفة، تتغذى من عدة روافد وتعيد صياغتها في تصور منهجي متماسك.

ثالثا– ثنائية اللغة والكلام:

يميز دي سوسير بين اللغة بوصفها نظامًا اجتماعيًا عامًا، والكلام بوصفه الاستعمال الفردي لهذا النظام. وقد استفاد النقد البنيوي من هذا التمييز في التركيز على البنية اللغوية الكامنة وراء النصوص، بدل الانشغال بالاستعمالات الفردية أو السياقات الخارجية.

وتكتسي ثنائية اللغة والكلام أهمية خاصة في التصور اللساني السوسيري، لأنها تضع حدًّا واضحًا بين ما هو جماعي وثابت وما هو فردي ومتغير، فاللغة تمثل النظام المشترك الذي يسبق الأفراد ويشتركون في امتلاكه بوصفه قاعدة تواصلية منظمة، بينما يظل الكلام ممارسة فردية تتجسد فيها هذه القواعد في صور متعددة تختلف باختلاف المتكلمين والسياقات، ومن هذا المنظور، فإن دراسة اللغة تقتضي التركيز على هذا النظام الكلي بوصفه موضوعًا علميًا قابلًا للوصف، في حين يُنظر إلى الكلام باعتباره تجليات تطبيقية لا تكشف دائمًا عن البنية العميقة للغة، وقد مكن هذا التمييز النقد البنيوي من تجاوز الاهتمام بالخطاب الفردي نحو البحث في القوانين العامة التي تحكم اشتغال اللغة داخل النصوص الأدبية.

المحاضرة الخامسة: روافد البنيوية: أ- البنيوية الشكلانية

تمهيد:

تُعدّ البنيوية الشكلانية أحد أهم الروافد الأولى التي أسهمت في تشكيل التصور البنيوي العام، حيث ظهرت بوصفها اتجاهًا نقديًا يركز على دراسة الشكل الأدبي باعتباره العنصر الأكثر أهمية في بناء المعنى، وقد نشأت هذه النزعة في سياق المدرسة الشكلانية الروسية، التي أولت اهتمامًا خاصًا بالبنية الفنية للنص، بعيدًا عن الاعتبارات الخارجية مثل المؤلف أو السياق التاريخي والاجتماعي.

ومن ثمّ فإن دراسة البنيوية الشكلانية تتيح فهمًا أعمق للجذور الأولى للفكر البنيوي، إذ تكشف عن التحول الذي شهده النقد الأدبي من الاهتمام بالمضمون إلى التركيز على كيفية تشكل النص وآليات اشتغاله الداخلية، وهو ما مهّد لاحقًا لظهور البنيوية في صورتها اللسانية الشاملة، فقد «لقد مهّد الشكلانيون الروس الطريق أمام البنيوية حين جعلوا الأدبية موضوعًا مستقلًا للدراسة العلمية»[1].

ويعني ذلك أن الشكلانيين الروس أحدثوا تحولًا مهمًا في مسار النقد الأدبي، حين نقلوا الاهتمام من مضمون النص أو سياقه الخارجي إلى خصائصه الداخلية التي تمنحه صفة "الأدبية" فقد سعت دراساتهم إلى تحديد ما يجعل النص الأدبي أدبيًا، من خلال التركيز على الأساليب الفنية، والبنى اللغوية، وآليات التشكيل الجمالي داخل النص الأدبي.

ومن ثمّ فإن هذا التوجه أسهم في تأسيس رؤية جديدة تعتبر النص بنية مستقلة لها قوانينها الخاصة، وهو ما شكّل أرضية فكرية ومنهجية استفادت منها البنيوية لاحقًا في تطوير أدواتها التحليلية، وتوسيع مفهوم البنية ليشمل مختلف الظواهر الأدبية واللغوية، فـ«انبثقت البنيوية من التراث الشكلاني الذي ركّز على العلاقات الداخلية للنص بدل العوامل الخارجية المحيطة به»[2].

---

[1] تزفتان تودوروف: الشعرية، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص 18.

[2] — René Wellek & Austin Warren، نظرية الأدب، تر: محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص 210.

ويعني هذا القول إن البنيوية لم تتشكل في لحظة معرفية منفصلة، بل جاءت امتدادًا لتصورات الشكلانيين الروس الذين أعادوا الاعتبار للنص الأدبي بوصفه بنية قائمة بذاتها، فقد انصرف اهتمامهم إلى دراسة العلاقات اللغوية الداخلية التي تنظم مكونات النص، بدل الانشغال بالعوامل الخارجية مثل حياة المؤلف أو السياق التاريخي والاجتماعي.

ومن ثمّ فقد وجدت البنيوية في هذا التراث الشكلاني أرضية نظرية خصبة سمحت لها بتطوير مفهوم البنية وتوسيعه، ليشمل مختلف الأنظمة اللغوية والثقافية، مع التأكيد على أن المعنى يُنتج داخل النص من خلال تفاعل عناصره، لا من خلال مرجعيات خارجية.

يضيف صلاح فضل قائلا: «إن الشكلانية الروسية كانت الرافد الأساسي الذي استقت منه البنيوية مفاهيم البنية والنسق والوظيفة»[1]، ويعني هذا أن البنيوية لم تتشكل من فراغ، بل استفادت بشكل مباشر من المنجز النقدي للشكلانيين الروس الذين ركزوا على البنية الداخلية للنص وآليات اشتغاله، فقد ساعدت مفاهيم مثل البنية والنسق والوظيفة على تحويل الاهتمام من مضمون النص إلى طريقة بنائه، ومن المرجعية الخارجية إلى العلاقات اللغوية الداخلية التي تنتظم عناصره.

ومن ثمّ فقد أعادت البنيوية صياغة هذه المفاهيم ضمن إطار أكثر شمولًا وصرامة، لتجعل منها أدوات تحليلية قابلة للتطبيق على مختلف الظواهر اللغوية والأدبية، وليس على النص الأدبي وحده، مما أسهم في توسيع مجالها وتثبيت حضورها داخل الدراسات الإنسانية.

و«تشير الدراسات إلى أن الروافد التاريخية للبنيوية هي مدرسة الشكلانيين الروس التي ظهرت في عشرينيات وثلاثينيات هذا القرن، وما سمي بمدرسة النقد الجديد في أمريكا، إذ إن هذه المدرسة دعت إلى ضرورة التركيز على العلاقات الداخلية للنص وقالت بأن موضوع الدراسة التاريخية ينبغي أن ينحصر في ما أسماه جاكبسون أدبية الأدب، وتتكون الأدبية بشكل عام من الأساليب والأدوات التي تميز الأدب عن غيره، أي الخصائص التي تميز ذلك الأدب»[2].

---

[1] صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 45.

[2] ينظر: شكري عزيز الماضي: في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص 188.

فالروافد التي أسهمت في تشكل البنيوية لم تكن مقتصرة على السياق الأوروبي الشرقي فحسب، بل امتدت أيضًا إلى التجربة النقدية الأمريكية ممثلة في مدرسة النقد الجديد، فقد اشتركت هذه الاتجاهات في الدعوة إلى تجاوز القراءة الخارجية للنص، والتركيز بدل ذلك على بنيته الداخلية وما تتضمنه من علاقات وأساليب فنية تحدد طبيعته الأدبية.

وفي هذا السياق، برز مفهوم "أدبية الأدب" عند رومان ياكبسون، الذي حدد موضوع الدراسة الأدبية في الخصائص الشكلية واللغوية التي تميز النص الأدبي عن غيره من الخطابات، ومن ثمّ فإن الاهتمام لم يعد منصبًا على مضمون النص أو ظروف إنتاجه، بل على الوسائل الفنية التي تمنحه طابعه الأدبي، وهو ما مهد بشكل مباشر لانتقال هذه التصورات إلى البنيوية وتطويرها ضمن إطار نظري أكثر شمولًا.

«أعادت البنيوية توظيف إنجازات الشكلانيين الروس، خاصة فكرة دراسة العمل الأدبي في ذاته بوصفه بناءً لغويًا»[1]. ومن ثم ويعني ذلك أن البنيوية لم تكتفِ باستعادة أطروحات الشكلانيين الروس، بل عملت على إعادة صياغتها داخل إطار نظري أشمل يقوم على مفهوم البنية كاهتمام أولي، فقد تم التركيز على اعتبار العمل الأدبي كيانًا لغويًا مستقلًا، يُفهم من خلال تحليل عناصره الداخلية والعلاقات التي تربط بينها، بدل رده إلى عوامل خارجية مثل التاريخ أو سيرة المؤلف فأصبح النص الأدبي في التصور البنيوي نسقًا من العلامات يخضع لقوانين داخلية، وهو ما جعل من دراسة البنية وسيلة أساسية للكشف عن آليات إنتاج المعنى داخل العمل الأدبي، فـ«كان ياكبسون حلقة الوصل الحقيقية بين الشكلانية الروسية والبنيوية الفرنسية الحديثة»[2].

وقد «اعتمدت البنيوية على المفاهيم التي بلورها الشكلانيون مثل التغريب والوظيفة الأدبية والبنية الصوتية»[3].

ويعني هذا أن البنيوية استفادت من الترسانة المفاهيمية التي طورها الشكلانيون الروس، حيث أُعيد توظيف مفاهيم مثل التغريب والوظيفة الأدبية والبنية الصوتية ضمن

---

[1] Roland Barthes: الدرجة الصفر للكتابة، تر: محمد برادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص 63.

[2] Jonathan Culler، البنيوية: اللسانيات والأدب، تر: جابر عصفور، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط1، 1986، ص 29.

[3] Victor Erlich، الشكلانية الروسية: التاريخ والمذهب، تر: إبراهيم الخطيب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989، ص 74

إطار أكثر شمولًا يهدف إلى تحليل النص بوصفه بنية متكاملة. فمفهوم التغريب، على سبيل المثال، أسهم في فهم كيفية إحداث النص لأثر جمالي يقوم على إرباك المألوف وتجاوز العادة الإدراكية، بينما أبرزت فكرة الوظيفة الأدبية أن اللغة في النص الأدبي لا تُستخدم للإبلاغ المباشر بقدر ما تُستعمل لإنتاج أثر جمالي خاص.

أما الاهتمام بالبنية الصوتية فقد فتح المجال أمام دراسة الإيقاع والانسجام والتكرار باعتبارها عناصر بنائية تسهم في تشكيل الدلالة، ومن ثمّ فإن هذه المفاهيم لم تُنقل كما هي، بل أعادت البنيوية توظيفها داخل رؤية أكثر تجريدًا تركز على العلاقات الداخلية للنص باعتبارها مصدر المعنى الأساسي، لذلك فإن «دراسة العلاقات الداخلية بين عناصر النص، وهي الفكرة المحورية في البنيوية، تعود بجذورها إلى التصورات الشكلانية الأولى»[1].

خاتمة:

يتضح من خلال ما سبق أن البنيوية الشكلانية تمثل مرحلة تأسيسية مهمة في تطور النقد البنيوي، إذ أسهمت في إعادة توجيه الاهتمام نحو النص الأدبي بوصفه بناءً لغويًا مستقلاً تحكمه علاقات داخلية دقيقة، وقد مكّنت هذه المقاربة من تجاوز التفسيرات الخارجية المرتبطة بالمؤلف أو السياق التاريخي، لصالح تحليل البنية الفنية والوظيفية للنص.

ومن ثمّ فإن أهمية الشكلانية لا تكمن فقط في مفاهيمها الإجرائية، بل في كونها وفّرت للبنيوية لاحقًا أرضية نظرية صلبة، سمحت لها بتوسيع نطاق التحليل ليشمل مختلف الظواهر اللغوية والأدبية، مما جعلها إحدى أهم الروافد التي ساهمت في بلورة التصور البنيوي الحديث.

[1] نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 132.

المحاضرة السادسة: روافد البنيوية: ب-البنيوية التكوينية

تمهيد:

إذا كانت الشكلانية الروسية قد أسهمت في توجيه الاهتمام نحو البنية الداخلية للنص الأدبي، فإن البنيوية التكوينية حاولت أن تحقق نوعًا من التوازن بين دراسة البنية والكشف عن الظروف الاجتماعية والفكرية التي أسهمت في تشكلها، وقد ارتبط هذا الاتجاه أساسًا بأعمال الناقد وعالم الاجتماع "لوسيان غولدمان" الذي سعى إلى تجاوز الفصل الحاد بين النص وواقعه، من خلال النظر إلى العمل الأدبي بوصفه بنية دالة ترتبط برؤية جماعية للعالم.

ومن هذا المنطلق، لا تكتفي البنيوية التكوينية بوصف العلاقات الداخلية للنص، بل تحاول فهم الكيفية التي تتشكل بها هذه العلاقات في ضوء البنى الاجتماعية والثقافية التي ينتمي إليها المبدع، ولذلك شكلت البنيوية التكوينية أحد أهم الروافد التي أغنت الفكر البنيوي ووسعت آفاقه، عبر الجمع بين التحليل البنيوي والوعي بالسياقات التاريخية والاجتماعية المنتجة للنص.

أولا- المفهوم اللغوي:

جاء مفهوم البنيوية التكوينية من الجانب اللغوي «ترجمة لغوية اصطلاحية للأصل الفرنسي: Le structuralisme génétique فإذا كانت structuralisme أي البنية، فإن كلمة génétique بقيت محل خلاف تتوزعها الترجمات المختلفة وتنتقل سماعا، وتواترا من البعض إلى البعض الآخر، فتارة يقال إن معناها التوليدية، وتارة أخرى التكوينية»[1].

ويعود هذا التباين إلى تعدد الدلالات التي يحملها المصطلح في أصله الفرنسي، إذ لا يقتصر على معنى التكوين في صورته الثابتة، وإنما يشير إلى عملية التشكل والنشأة والتطور، ولذلك لم يكن الخلاف بين "التوليدية" و"التكوينية" خلافًا لغويًا محضًا، بل ارتبط بمحاولة القبض على البعد المنهجي الذي يميز هذا الاتجاه النقدي.

[1] محمد الأمين بحري: البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، دراسة في نقد النقد، منشورات مديرية الثقافة، بسكرة، الجزائر، ط1، 2013م، ص131.

غير أن مصطلح "البنيوية التكوينية" ظل الأكثر شيوعًا في الكتابات النقدية العربية؛ لأنه يعبر بصورة أوضح عن اهتمام هذا الاتجاه بدراسة البنية في علاقتها بظروف تشكلها التاريخية والاجتماعية، فالبنية هنا ليست معطى جاهزًا أو نظامًا مغلقًا، بل هي نتاج سيرورة تكوينية ترتبط برؤية معينة للعالم وبالواقع الثقافي والاجتماعي الذي انبثقت منه.

ثانيا– المفهوم الاصطلاحي:

تُعرف البنيوية التكوينية بأنها اتجاه نقدي يسعى إلى الجمع بين دراسة البنية الداخلية للنص الأدبي والكشف عن الشروط الاجتماعية والتاريخية التي أسهمت في تكوينها، فهي لا تنظر إلى العمل الأدبي بوصفه بناءً مغلقًا ومستقلًا استقلالًا تامًا، كما هو الحال في بعض التصورات البنيوية الصارمة، بل تعدّه تعبيرًا عن رؤية للعالم تتشكل داخل سياق اجتماعي وثقافي معين وقد «اعتمدت البنيوية التكوينية على مفهوم التماثل البنيوي بين العمل الأدبي والواقع الاجتماعي»[1]. ويعني هذا أن البنيوية التكوينية لا تنظر إلى العمل الأدبي بوصفه انعكاسًا مباشرًا للواقع الاجتماعي، وإنما ترى وجود نوع من التماثل أو التجانس البنيوي بينهما، فالعلاقة بين النص والواقع ليست علاقة نسخ أو محاكاة، بل علاقة تشابه في البنية والتنظيم الداخلي، لذلك يسعى الناقد إلى الكشف عن الروابط التي تجعل البناء الفني للنص معبرًا عن رؤية جماعية للعالم تتشكل داخل سياق اجتماعي وتاريخي معين.

ومن هذا المنظور، يصبح العمل الأدبي وسيطًا بين الفرد والمجتمع، حيث تتجسد داخله تطلعات الجماعة وقيمها وتصوراتها في صورة فنية منظمة، ولهذا فإن فهم النص لا يكتمل بدراسة بنيته الداخلية وحدها، بل يقتضي أيضًا البحث في البنية الاجتماعية والفكرية التي تتناظر معها وتمنحها دلالتها الأعمق.

و«تقوم البنيوية التكوينية على الربط بين البنية الداخلية للعمل الأدبي والبنية الاجتماعية التي أفرزته»[2]. ويكشف هذا التصور عن خصوصية البنيوية التكوينية مقارنة بالاتجاهات البنيوية الأخرى، إذ إنها لا تكتفي بتحليل العلاقات الداخلية للنص، بل تسعى إلى فهم الصلات التي تربط هذه العلاقات بالبنية الاجتماعية التي نشأ في إطارها العمل

[1] Terry Eagleton، مقدمة في نظرية الأدب، تر: ثائر ديب، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 1991، ص 143.

[2] Lucien Goldmann، من أجل علم اجتماع الرواية، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 24.

الأدبي، فالنص، في نظرها، ليس بناءً معزولًا عن واقعه، وإنما هو نتاج لظروف تاريخية وثقافية واجتماعية تترك آثارها في طريقة تشكله وفي الرؤية التي يحملها.

ومن ثمّ فإن دراسة العمل الأدبي تقتضي الجمع بين تحليل بنيته الفنية والكشف عن الأسس الاجتماعية التي أسهمت في إنتاجها، بما يسمح بفهم النص باعتباره تعبيرًا عن وعي جماعي ورؤية للعالم تتجاوز حدود التجربة الفردية للمبدع، فلا «يمكن فهم العمل الأدبي بمعزل عن الوعي الجمعي الذي يمثل رؤيا طبقة اجتماعية معينة»[1].

تنطلق البنيوية التكوينية من أن النص الأدبي لا يمثل تجربة فردية خالصة، بل يجسد في كثير من الأحايين رؤية جماعية للعالم تشترك فيها جماعة اجتماعية أو طبقة معينة، لذلك فإن فهم العمل الأدبي يقتضي البحث في أنماط الوعي والقيم والتصورات التي يعبر عنها النص، وربطها بالسياق الاجتماعي الذي نشأت فيه، ومن هذا المنظور، يصبح النص بنية دالة تكشف عن علاقة وثيقة بين الإبداع الأدبي والواقع الاجتماعي، دون أن يتحول إلى مجرد انعكاس آلي له.

ثالثا– تشكل المنهج البنيوي التكويني:

وكما ذكرنا سابقا فإن هذا الاتجاه قد ارتبط أساسًا بأعمال "لوسيان غولدمان" الذي رأى أن النص الأدبي يمثل بنية دالة تعكس الوعي الجماعي لفئة أو طبقة اجتماعية، وأن فهمه يقتضي الجمع بين تحليل مكوناته الداخلية وتتبع الظروف التي أسهمت في إنتاجه، ومن ثمّ فإن البنيوية التكوينية تقوم على الربط بين البنية والتكوين، وبين النص والواقع، في محاولة لتفسير العمل الأدبي ضمن شبكة من العلاقات الاجتماعية والفكرية التي تمنحه معناه.

وهناك نقطة مهمة لا بد أن نشير إليها وهي أن البنيوية التكوينية استفادة من «الماركسية في تفسير العلاقة الجدلية بين النص والبنية الاجتماعية»[2].

وقد استفادت البنيوية التكوينية من الماركسية في فهم طبيعة العلاقة القائمة بين العمل الأدبي والواقع الاجتماعي، إذ نظرت إلى هذه العلاقة بوصفها علاقة جدلية تقوم على التأثير المتبادل لا على الانعكاس الآلي المباشر، فالنص الأدبي لا يُعد صورة مطابقة

---

[1] Lucien Goldmann، الإله الخفي، تر: حسن قبيسي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص 41.

[2] المرجع نفسه، ص 41.

للواقع، كما أن الواقع لا يفرض نفسه على الأدب بصورة ميكانيكية، بل تتوسط بينهما مجموعة من البنى الفكرية والثقافية التي تعيد تشكيل التجربة الاجتماعية في قالب فني،

ومن ثمّ أصبح العمل الأدبي يُفهم باعتباره تعبيرًا عن رؤية للعالم تتبلور داخل سياق اجتماعي محدد، بحيث تكشف بنيته الداخلية عن أنماط من الوعي والقيم والتصورات المرتبطة بالجماعة التي أنتجته، وبهذا المعنى أسهمت الماركسية في منح البنيوية التكوينية بعدًا اجتماعيًا وتاريخيًا مكّنها من الربط بين تحليل النص وفهم الشروط التي أسهمت في تكوينه، فـ«البنيوية التكوينية تجاوزت الشكلانية المحضة حين أعادت ربط النص بسياقه التاريخي والاجتماعي»[1].

ويعني ذلك أن البنيوية التكوينية لم ترفض منجزات البنيوية والشكلانية في دراسة البنية الداخلية للنص، وإنما سعت إلى توسيع أفق التحليل من خلال ربط هذه البنية بالشروط التاريخية والاجتماعية التي أسهمت في تشكلها، فالنص الأدبي، في نظرها، لا يُختزل في علاقاته الداخلية وحدها، بل يُفهم أيضًا في ضوء الواقع الثقافي والاجتماعي الذي أفرز،

ومن ثمّ فقد حاولت البنيوية التكوينية تحقيق نوع من التوازن بين التحليل البنيوي والتفسير الاجتماعي، بحيث يصبح العمل الأدبي بنية دالة تحمل في داخلها آثار السياق الذي نشأت فيه، وبهذا المعنى تجاوزت الشكلانية المحضة التي حصرت اهتمامها في النص ذاته، لتمنح الدراسة الأدبية بعدًا تاريخيًا واجتماعيًا دون التفريط في أهمية البنية الفنية للعمل و«يرى غولدمان أن الإبداع الأدبي تعبير عن بنية ذهنية جماعية تتجاوز الفرد الكاتب»[2].

«لقد حاولت البنيوية التكوينية التوفيق بين التحليل البنيوي الداخلي والدراسة الاجتماعية الخارجية للأدب»[3].

ينطلق "لوسيان غولدمان" من فكرة مفادها أن العمل الأدبي لا يعبر عن وعي فردي معزول، بل يجسد بنية ذهنية جماعية تتشكل داخل إطار اجتماعي وتاريخي معين، فالمبدع، في نظره، ليس سوى الوسيط الذي تتجلى من خلاله رؤية جماعة أو طبقة

---

[1] صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 211.

[2] Jean Piaget، البنيوية، تر: عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط4، 1985، ص 97.

[3] حسين الواد، في مناهج الدراسات الأدبية، دار الجنوب للنشر، تونس، تونس، ط1، 1999، ص 88.

اجتماعية للعالم، ولذلك تتجاوز دلالة النص حدود التجربة الشخصية للكاتب لتتصل بوعي جمعي أوسع.

ومن هذا المنطلق، سعت البنيوية التكوينية إلى التوفيق بين التحليل البنيوي الداخلي والدراسة الاجتماعية للأدب، فحافظت على اهتمامها بالبنية النصية والعلاقات التي تنتظم عناصرها، وفي الوقت نفسه ربطت هذه البنية بالشروط الاجتماعية والفكرية التي أسهمت في إنتاجها، وبذلك حاولت تجاوز الفصل القائم بين النص وواقعه، لتقدم قراءة تجمع بين فهم البناء الفني للعمل الأدبي والكشف عن الرؤية الجماعية التي يعبر عنها.

رابعا– البنيوية التكوينية في الوطن العربي:

مع اتساع دائرة الاهتمام بالمناهج النقدية الحديثة في العالم العربي، وجدت البنيوية التكوينية طريقها إلى الدراسات الأدبية والنقدية بوصفها مقاربة تجمع بين تحليل النص والاهتمام بسياقه الاجتماعي، وقد بدا هذا الاتجاه أكثر قربًا من اهتمامات النقاد العرب مقارنة ببعض الصيغ البنيوية الصارمة التي حصرت اهتمامها في البنية الداخلية للنص، لأن الأدب العربي ظل مرتبطًا، في كثير من تجلياته، بقضايا المجتمع والتحولات الفكرية والثقافية.

ولذلك لم يكن استقبال البنيوية التكوينية في الوطن العربي مجرد نقل لمفاهيم غربية جاهزة، بل جاء في إطار محاولة توظيفها لفهم النصوص الأدبية العربية والكشف عن الصلات التي تربط بين بنائها الفني والرؤى الاجتماعية التي تعبر عنها، وقد أسهم هذا التفاعل في ظهور عدد من الدراسات النقدية التي سعت إلى الموازنة بين تحليل البنية النصية واستحضار الظروف التاريخية والثقافية التي أسهمت في تشكيلها، الأمر الذي منح البنيوية التكوينية حضورًا لافتًا في المشهد النقدي العربي المعاصر فقد «حظيت البنيوية التكوينية وما تزال بحضور واسع في النقد العربي المعاصر، وتكاد تكون أكثر المناهج انتشارا لدى عدد كبير من النقاد المتميزين في شرق الوطن العربي وغربه، وحين نتساءل عن السبب في انتشار هذا الفرع من البنيوية وإقبال النقاد عليه، على ما بينهم من تفاوت في القدرات والحماسة، فسنجد من بين الاحتمالات البارزة أن البنيوية التكوينية منهج يجمع الشتيتين، التوجه الشكلاني والتوجه الماركسي، على نحو يرضي الرغبة في الإخلاص

للنواحي الشكلية في دراسة الأدب مع عدم التخلي عن القيم والالتزامات الواقعية التي تحتل مساحة بارزة في تشكيل التجربة السياسية والثقافية والاجتماعية في الوطن العربي»[1].

ولعل ما عزز مكانة البنيوية التكوينية في النقد العربي هو قدرتها على تقديم قراءة متوازنة للعمل الأدبي، فلا هي تنغلق داخل حدود النص كما فعلت بعض الاتجاهات البنيوية، ولا هي تذيب الأدب في الواقع الاجتماعي وتجعله مجرد انعكاس له، وقد أتاح هذا التوازن للنقاد العرب مساحة أوسع للتعامل مع النصوص الأدبية بوصفها أعمالًا فنية تحمل في الوقت نفسه رؤى فكرية واجتماعية تعكس هموم الإنسان العربي وأسئلته، لذلك وجد كثير من الباحثين في هذا المنهج أداة مناسبة تجمع بين الدقة التحليلية والوعي بقضايا المجتمع والثقافة، ولا تزال «تحتل البنيوية التكوينية رقعة شاسعة نسبيا على مساحة الخطاب النقدي العربي الجديد تشغلها أسماء معروفة بانتمائها الإيديولوجي حينا، وقناعتها المنهجية حينا آخر، يمكن أن نذكر منها: محمد رشيد ثابت وكمال أبو ديب ويمنى العيد ومحمد برادة ومحمد بنيس وإلياس خوري وجمال شحيد، وسعيد علوش وحميد لحميداني، وربما أيضا جابر عصفور، وكذلك عبد الحميد بورايو (على الأقل في كتابه: القصص الشعبي في منطقة)، ونجيب العوفي،...»[2].

وكل هؤلاء النقاد والباحثين والأكاديميين قد اختلفوا في ترجمة مصطلح البنيوية التكوينية Structuralisme Génétique فعبروا عنه بمصطلحات كثيرة ومتعددة مقابلة له في العربية منها: «**"البنيوية التوليدية"**؛ التي تشيع لدى صلاح فضل[3]، وجابر عصفور[4]، وسعيد علوش، وشايف عكاشة[5]، ...

"البنيوية التوالدية"؛ وقد اصطنعها الباحث العراقي نهاد التكرلي[6].

---

[1] ميجان الرويلي وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط:1، 2017م، ص397.

[2] المرجع نفسه: ص 147.

[3] صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص51.

[4] إديث كريزويل: عصر البنيوية، ص273.

[5] شايف عكاشة: نظرية الأدب في النقدين الجمالي والبنيوي في الوطن العربي، ج 03، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م، ص15.

[6] نهاد التكرلي: اتجاهات النقد الفرنسي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد 1979م، ص64.

"البنيوية الدينامية"؛ وقد انفرد بها سمير حجازي الذي استعمل إلى جانبها (البنيوية التوليدية) في مواطن مختلفة من كتاباته[1]، ومع ذلك فقد ألفيناه يتعصب للدينامية ويثور على جابر عصفور الذي يستعمل التوليدية[2] ...

"المنهج الهيكلاني التوليدي"؛ الذي يصطنعه حسين الواد[3].

"الهيكلية الحركية"؛ ويصطنعها محمد رشيد ثابت[4] الذي قد يكون أول ناقد عربي يطبق هذا المنهج، في بحثه الجامعي الرائد (البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام)، وإن كانت عبارة (الهيكلية الحركية) لا تفصح مباشرة عن هذا الخيار المنهجي، بحكم الزمن المتقدم (سنة 1972) الذي اصطنعها فيه»[5]، كل هذه التسميات إضافة إلى اصطلاحات أخرى مقابلة للبنيوية التكوينية، منها أيضا:

«**"البنيوية الجدلية"**؛ وقد ألفيناه لدى جورج طرابيشي في ترجمته لكتاب غارودي، ... لكن مثل هذا التعبير امتد لاحقا إلى كتابات عربية أخرى؛ كما هي الحال لدى حميد لحميداني الذي اصطنع عبارة **"النقد الجدلي الجديد"**[6]، رغم أنه يصطنع في عنوان الكتاب ذاته عنوانا فرعيا يحيل على اختيار مُصْطَلَحِي آخر (دراسة بنيوية تكوينية).

"البنيوية الماركسية"؛ وقد استعملها عبد العزيز حمودة.

"الواقعية البنيوية"؛ وتنفرد باستعمالها "يمنى العيد"، رغم أنها تستعمل في ذات الكتاب عبارات اصطلاحية أخرى من نوع: "الاتجاه الغولدماني"، و"النقد السوسيولوجي المسمى بالبنيوية التكوينية"، والبنيوية التكوينية–الجدلية»[7]، أما مصطلح البنيوية التكوينية فهو أكثر المصطلحات الشائعة والمتداولة لدى الباحثين والنقاد.

---

[1] سمير حجازي: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، دط، 1990م، ص87.

[2] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح، ص147.

[3] حسين الواد: في مناهج الدراسات الأدبية، سراس للنشر، تونس، دط، 1985م، ص61.

[4] رشيد ثابت: البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام، الدار العربية للكتاب، تونس/ليبيا، ط2، 1982م، ص05.

[5] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح، ص147.

[6] حميد الحميداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985م، ص11.

[7] المرجع السابق: ص148–149.

خاتمة:

يتبين من خلال ما سبق أن البنيوية التكوينية مثّلت محاولة جادة لتجاوز الحدود التي رسمتها البنيوية الشكلانية، من خلال الجمع بين تحليل البنية الداخلية للنص واستحضار الشروط الاجتماعية والتاريخية التي أسهمت في تكوينها، وقد أسهم هذا التوجه في تقديم رؤية أكثر اتساعًا للعمل الأدبي، تنظر إليه بوصفه بناءً فنيًا يحمل في الوقت نفسه رؤية للعالم تعكس وعيًا جماعيًا وسياقًا ثقافيًا محددًا، ولهذا اكتسبت البنيوية التكوينية مكانة مميزة في الدرس النقدي الحديث، سواء في الفكر الغربي أو في النقد العربي، لما وفرته من إمكانات تسمح بفهم النص الأدبي في تفاعله المستمر مع الواقع دون التفريط في خصوصيته الفنية والجمالية.

المحاضرة السابعة: النص الأدبي من مدار المقاربة البنيوية إلى مستويات التحليل البنيوي

تمهيد:

بعد الوقوف عند الأصول الفكرية واللسانية للبنيوية وأهم روافدها النظرية، يصبح من الضروري الانتقال إلى مجال اشتغالها الفعلي، أي إلى النص الأدبي بوصفه الموضوع المركزي للمقاربة البنيوية، فقد أحدثت البنيوية تحولًا واضحًا في طريقة النظر إلى النص، إذ لم تعد تتعامل معه باعتباره وثيقة تاريخية أو تعبيرًا عن تجربة ذاتية، وإنما بوصفه بنية لغوية متماسكة تتشكل من مجموعة من العناصر والعلاقات المتشابكة والتي تتفاعل فيما بينها لإنتاج المعنى.

ومن هذا المنطلق، انصب اهتمام البنيويين على الكشف عن القوانين الداخلية التي تنتظم النص الأدبي، والبحث في المستويات المختلفة التي تسهم في بنائه وآليات اشتغاله، سواء تعلق الأمر بالمستوى الصوتي أو التركيبي أو الدلالي أو غيرها من المستويات التي تشكل في مجموعها بنية النص، لذلك فإن دراسة النص الأدبي في ضوء المقاربة البنيوية تقتضي التعرف إلى طبيعة هذه المستويات وآليات اشتغالها داخل العمل الأدبي.

أولا– مدار التحليل البنيوي:

ينطلق التحليل البنيوي من اعتبار النص الأدبي بنية متكاملة تتحدد دلالاتها من خلال العلاقات القائمة بين عناصرها المختلفة، ولذلك لا يتجه اهتمامه إلى ما هو خارج النص بقدر ما يركز على مكوناته الداخلية وآليات انتظامها، ومن هنا أصبح مدار التحليل البنيوي هو الكشف عن النظام الذي يحكم بناء النص، وفهم الكيفية التي تتفاعل بها عناصره اللغوية والدلالية لإنتاج المعنى داخل نسق واحد متماسك، حيث «يقوم التحليل البنيوي للعمل الأدبي على دراسة مستويات النص المختلفة من صوتية وتركيبية ودلالية للكشف عن العلاقات الداخلية التي تشكّل بنيته»[1].

[1] صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 121.

فلا يُفهم النص الأدبي «في المنهج البنيوي من خلال عناصره المفردة، بل عبر شبكة العلاقات التي تربط بين مستوياته كافة»[1]. ففي المنهج البنيوي لا تُدرس مكونات النص على أنها وحدات منفصلة يمكن فهمها كلٌّ على حدة، وإنما يُنظر إليها بوصفها أجزاءً متفاعلة داخل نظام واحد. لذلك لا تكمن أهمية العنصر في ذاته، بل في طبيعة الصلات التي يقيمها مع العناصر الأخرى، ومن خلال تتبع هذه الصلات يمكن الكشف عن منطق بناء النص والطريقة التي تتآزر بها مستوياته المختلفة في إنتاج المعنى وتوجيه القراءة و«إن المستوى الدلالي لا ينفصل عن المستوى التركيبي، لأن المعنى يتولد من انتظام العلاقات داخل البنية»[2].

ويرى "جيرار جينيت" أن التحليل البنيوي «يهتم بدراسة البنية العميقة للنص، لا بالمظاهر الخارجية أو الملابسات التاريخية المحيطة به»[3]، فتتحدد من خلال ذلك «شعرية النص من خلال التفاعل بين المستوى الصوتي والإيقاعي والمستوى الدلالي داخل النسق العام للعمل»[4]. ويعني ذلك أن شعرية النص لا تنشأ من مستوى واحد معزول، بل تتولد من التفاعل المستمر بين مختلف مكوناته. فالإيقاع والأصوات والصور والمعاني لا تعمل بصورة منفصلة، وإنما تتساند داخل بنية واحدة تسهم في تشكيل الأثر الجمالي للنص، ومن هنا فإن التحليل البنيوي يسعى إلى تتبع هذا التداخل بين المستويات المختلفة، للكشف عن الكيفية التي تنتظم بها عناصر العمل الأدبي وتمنحه خصوصيته الفنية والدلالية.

«يعتمد التحليل البنيوي للسرد على تفكيك النص إلى وحدات صغرى ثم دراسة العلاقات الوظيفية التي تربط بينها»[5].

---

[1] Roland Barthes، مدخل إلى التحليل البنيوي للسرد، تر: عبد الحميد عقار، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992، ص 34

[2] Tzvetan Todorov، الشعرية، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص 56.

[3] Gérard Genette، خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص 73.

[4] Roman Jakobson، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص 102.

[5] Claude Bremond، منطق السرد، تر: محمد برادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص 48.

ويقوم هذا التصور على أن السرد لا يُفهم من خلال الأحداث منفردة، وإنما من خلال الوظائف التي تؤديها داخل البناء الحكائي، لذلك يعمد التحليل البنيوي إلى تقسيم النص إلى وحدات أو مكونات أساسية، ثم يدرس طرائق ترابطها وتسلسلها، للكشف عن النظام الذي يحكم حركة الشخصيات والأحداث، وبهذا يصبح الهدف هو الوصول إلى البنية العميقة التي تنتظم السرد وتمنحه تماسكه، لا الاكتفاء بوصف الوقائع كما ترد في ظاهر النص «إن مستويات التحليل البنيوي تشمل البنية اللغوية والزمنية والسردية، بوصفها أنظمة متداخلة تُنتج دلالة النص»[1].

ويعني هذا أن التحليل البنيوي لا يكتفي بمستوى واحد في مقاربة النص، بل يتعامل معه بوصفه شبكة من البنى المتداخلة التي تتكامل فيما بينها، فالبنية اللغوية تكشف عن كيفية تشكل المعنى عبر اختيار الألفاظ والتراكيب، بينما تُعنى البنية الزمنية بكيفية تنظيم الأحداث وتوزيعها داخل النص من حيث التقديم والتأخير والاسترجاع، في حين تركز البنية السردية على طريقة بناء الحكاية وتوزيع أدوار الشخصيات ووظائفها داخل الخطاب.

ومن خلال هذا التداخل بين المستويات المختلفة، تتشكل دلالة النص بوصفها حصيلة تفاعل هذه الأنظمة لا نتيجة عنصر منفرد، مما يجعل التحليل البنيوي بحثًا في كيفية اشتغال النص من الداخل أكثر من كونه وصفًا لمضمونه الظاهري فـ«لا يُختزل النص في مؤلفه، بل يُفهم بوصفه بنية من العلامات تعمل وفق قوانين داخلية مستقلة عن النية الفردية»[2].

يقول تودوروف: «إن البنيوية تهتم بالكشف عن الأنظمة العميقة التي تحكم النصوص بدل الاكتفاء بوصفها الظاهري»[3].

ويعني ذلك أن القراءة البنيوية لا تتوقف عند ما يظهر في سطح النص من أحداث أو معانٍ مباشرة، بل تتجاوز ذلك إلى البحث في القوانين الخفية التي تنظّم بناءه الداخلي،

---

[1] عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، تونس، ط2، 1982، ص 91.

[2] Roland Barthes، La mort de l’auteur (مقال: موت المؤلف)، مجلة Mantéia، باريس، فرنسا، ط1، 1968، ص 4

[3] Tzvetan Todorov، Poétique de la prose، دار سوي، باريس، فرنسا، ط1، 1971، ص 29.

فالنص، في هذا التصور، ليس مجرد سلسلة من الجمل أو الوقائع، وإنما هو نسق من العلاقات المتداخلة التي تمنحه اتساقه ودلالته.

ومن ثمّ فإن هدف التحليل البنيوي هو الكشف عن هذه البنية العميقة التي تتحكم في إنتاج المعنى وتوجيهه، بدل الاكتفاء بوصف المظاهر الخارجية للنص، مما يجعل القراءة أقرب إلى تفكيك نظام داخلي يحكم اشتغال الخطاب الأدبي. فـ«التحليل البنيوي يسعى إلى تفكيك النص إلى وحدات وعلاقات تكشف نظامه الداخلي بوصفه شبكة من الوظائف»[1]. فـ«البنيوية في النقد الأدبي تنظر إلى النص باعتباره نظامًا من العلاقات لا مجموعة من العناصر المنفصلة»[2]. ويعني ذلك أن قيمة أي عنصر داخل النص لا تتحدد بذاته، بل من خلال موقعه داخل شبكة العلاقات التي تربطه بباقي العناصر، فالنص أو العمل الأدبي في التصور البنيوي وحدة متكاملة، تتشكل دلالته من تفاعل أجزائه، لا من جمعها الميكانيكي، وإن اللغة « ليست وسيلة تعبير فقط، بل نظام قائم على الاختلافات التي تُنتج المعنى داخل البنية»[3]. ويكشف هذا التصور أن المعنى في اللغة لا يقوم على التطابق المباشر بين الكلمات والأشياء، بل على الفروق والاختلافات بين العلامات داخل النظام اللغوي، فكل عنصر لغوي يكتسب دلالته من خلال ما يميّزه عن غيره داخل البنية العامة، و«تقوم البنيوية على دراسة العلاقات الثابتة داخل النصوص أكثر من اهتمامها بتاريخها أو مؤلفيها»[4].

ويعني ذلك أن الاهتمام في التحليل البنيوي ينصب على البنية الداخلية للنص في لحظة تشكله، بعيدًا عن الظروف التاريخية أو السيرة الذاتية للمؤلف. فالمقاربة البنيوية

---

[1] Gérard Genette، Figures III، دار سوي، باريس، فرنسا، ط1، 1972، ص 67.

[2] Jonathan Culler، Structuralist Poetics، مطبعة جامعة كورنيل، إيثاكا، الولايات المتحدة، ط1، 1975، ص 14.

[3] Ferdinand de Saussure، Cours de linguistique générale، دار Payot، باريس، فرنسا، ط1، 1916، ص 120

[4] Roman Jakobson، Linguistics and Poetics (اللسانيات والشعرية)، في كتاب Style in Language، مطبعة MIT، كامبريدج، الولايات المتحدة، ط1، 1960، ص 358.

تفضل دراسة النظام الداخلي للنص بوصفه موضوعًا قائمًا بذاته و«إن البنية هي ما يجعل عناصر النص مترابطة في نظام واحد يمكن قراءته علميًا»[1].

ويعني هذا أن البنية ليست مجرد شكل خارجي، بل هي المنطق الذي ينظم العلاقات بين عناصر النص ويمنحه وحدته. ومن خلال الكشف عن هذا النظام يصبح بالإمكان قراءة النص قراءة تحليلية تقوم على قواعد وضوابط قابلة للوصف.

ثانيا- مستويات التحليل البنيوي[2]:

1- المستوى الصوتي: حيث يدرس الناقد أو الباحث أو الطالب في هذا المستوى الحروف ورمزيتها وتكويناتها الموسيقية من نبر وتنغيم وإيقاع، ويتم معرفته من خلال الصوتيات.

2- المستوى الصرفي: وتُدرس فيه الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والأدبي خاصة، وهذا المستوى يحتاج إلى كل ما يُبنى عليه علم الصرف.

3- المستوى المعجمي: وتدرس فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية والتجريدية والحيوية والمستوى الأسلوبي لها، بمعنى أنه يبحث في دلالة الكلمات اللغوية.

4- المستوى النَحوي: وتدرس فيه تأليف وتركيب الجمل وطُرق تكوينها وخصائصها الدلالية والجمالية، بمعنى أنه يبحث في بناء الجملة سواءً أكانت فعلية أو اسمية أو شبه جملة.

5- مستوى القول: يتم في هذا المستوى تحليل تراكيب الجمل الكبرى؛ لمعرفة خصائصها الأساسية والثانوية.

6- المستوى الدلالي: وذلك بتحليل المعاني المباشرة وغير المباشرة والصورة المتصلة بالأنظمة الخارجية عن حدود اللغة والتي ترتبط بعلوم النفس والاجتماع وتمارس وظيفتها على درجات في الأدب والشعر.

7- المستوى الرمزي: تقوم فيه المستويات السابقة بدور الدال الجديد الذي ينتج مدلولا أدبيا جديدا يقود بدوره إلى المعنى الثاني أو ما يسمى باللغة (داخل اللغة).

---

[1] Claude Lévi-Strauss، Anthropologie structurale، منشورات بلون، باريس، فرنسا، ط1، 1958، ص 63.

[2] ينظر: صلاح فضل: البنائية في النقد الأدبي، ص183 وما بعدها.

إن الناظر إلى هذه المستويات يجدها كلها تتصل باللغة، فهي تنطلق من اللغة وتطبق عليها، واللغة كما نعرف لا تحتما الاتساع والتحدد كما في مناهج النقد الأدبي الأخرى ومن هنا تنبع عملية هذا المنهج وتعامله الدقيق مع النصوص الأدبية[1].

خاتمة:

يمكن القول في ختام هذا الدرس إن مستويات التحليل البنيوي تمثل أداة إجرائية لفهم النص الأدبي بوصفه بنية لغوية متكاملة، حيث تتكامل فيه المستويات اللغوية والزمنية والسردية والدلالية لتشكيل معناه الكلي والعام، فالبنيوية لا تتعامل مع النص كعناصر منفصلة، بل كنسق من العلاقات المتداخلة التي يحدد كل عنصر فيها موقعه ووظيفته داخل البنية الكلية وكذا علاقته بالعناصر اللغوية الأخرى.

ومن ثمّ فإن قيمة هذا المنهج تكمن في قدرته على الكشف عن منطق اشتغال النص من الداخل، وتوضيح كيفية إنتاج الدلالة عبر تفاعل هذه المستويات المختلفة، مما يجعل القراءة البنيوية قراءة تحليلية تهدف إلى فهم آليات البناء أكثر من الاكتفاء بوصف المحتوى الظاهر.

[1] ينظر: حسام الخطيب: مقال بعنوان: البنيوية والنقد العربي القديم، مجلة الموقف الأدبي، العدد 182، جوان، 1986م.

المحاضرة الثامنة: البنيوية في الكتابات النقدية الغربية

تقديم:

شهدت البنيوية في الكتابات النقدية الغربية تطورًا لافتًا خلال القرن العشرين، حيث انتقلت من كونها مقاربة لسانية في بداياتها مع "فردينان دي سوسير" إلى اتجاه نقدي واسع التأثير شمل مجالات الأدب والأنثروبولوجيا والدراسات الثقافية، وقد أسهم هذا الامتداد في ترسيخ تصور جديد للنص الأدبي يقوم على فكرة البنية والعلاقات الداخلية بدل التركيز على المؤلف أو السياق الخارجي الذي اهتمت به المناهج السياقية الحديثة.

ومن هذا المنطلق، اهتمت الكتابات النقدية الغربية بتطوير أدوات تحليلية دقيقة للكشف عن آليات اشتغال النصوص، فظهرت دراسات متعددة أعادت قراءة العمل الأدبي بوصفه نظامًا من العلامات، وتعمقت في تحليل مستوياته البنائية والدلالية، مما جعل البنيوية أحد أبرز التيارات النقدية التي طبعت الفكر الغربي الحديث والمعاصر.

أولا- تشكل الفكر البنيوي عند الغربيين:

لم يظهر الفكر البنيوي في السياق الغربي بوصفه نظرية جاهزة، بل تبلور تدريجيًا عبر تراكمات فكرية ومرحلية انطلقت من اللسانيات الحديثة، ثم امتدت إلى مجالات أخرى كالأدب والأنثروبولوجيا، وقد أسهمت أعمال "فردينان دي سوسير" في وضع الأساس النظري لهذا التحول، من خلال تصوره للغة باعتبارها نظامًا من العلامات تحكمه العلاقات الداخلية، وهو ما فتح المجال أمام التفكير في الظواهر الإنسانية بوصفها أنساقًا بنيوية قابلة للتحليل.

ومع تطور هذا التوجه، ساهمت جهود باحثين ونقاد غربيين في بلورة رؤية أكثر اتساعًا للبنية، حيث أصبح الاهتمام منصبًا على دراسة الأنظمة والعلاقات بدل العناصر المنفردة، مما أدى إلى تشكّل الفكر البنيوي كاتجاه نقدي متكامل في الفكر الغربي الحديث فـ«تغير الفكر الاجتماعي الفرنسي والذي ضج في سنوات يأسه بالاهتمام بالتاريخ والأنثروبولوجيا مع صدور كتاب "المدارات الحزينة" Tristes Tropiques وهو سيرة ذاتية أنثروبولوجية كتبها "كلود ليفي شتراوس" والذي جلب شهرة واسعة لصاحبه ومهد الطريق لكتابه الأنثروبولوجيا البنيوية Authropolegie Structurlism 1958، من خلال هذين الكتابين وقد شملت

هذه الأعمال وغيرها فاتحة عهد داعمة لتكريس النزوع البنيوي باتجاه كافة المجالات الأخرى، والتي يمكن أن تحظى باهتمام البنيوي وغيره من أدب وفلسفة ورياضيات»[1].

وقد أسهم هذا التحول في توسيع مجال التفكير البنيوي داخل السياق الفرنسي، بحيث لم يعد مقتصرًا على التحليل اللغوي الصرف، بل أصبح إطارًا عامًا لفهم الظواهر الثقافية والإنسانية في أبعادها المختلفة، وبهذا الانفتاح، تهيأت البنيوية لتجاوز حدودها الأولى، والدخول في حوار مع حقول معرفية متعددة على اختلافها، مما ساعد على ترسيخ حضورها بوصفها اتجاهًا فكريًا واسع التأثير في الفكر الغربي المعاصر فـ«اعتبرت هذه الجهود الحثيثة بديلا فكريا لفلسفةٍ كان لها حضورها الواضح وتأثيره الفاعل في الساحة الفرنسية وغيرها، إذا شكلت محاولة جديدة لفهم التاريخ والمجتمع والثقافة في ضوء العلوم الإنسانية، واحتلت بذلك موقعا بازاً في تاريخ الفكر الفرنسي المعاصر، وقد تميزت البنيوية بطروحاتها الثورية بما تحمله من أفكار وحلول لا بد وأن تكون مجدية على أرض الواقع آنذاك كالتيار الماركسي والتيار الوجودي»[2]. و«بدخول البنيوية بمبادئها الحديثة والتي وصفت بأنها تعانق الفكرة الماركسية الأصيلة بما طرحه مفكروها من صياغة علمية حديثة للماركسية التي تنزع إلى التخلص مما شابها من تقليد وسلطة طاغية للحكم الحزبي، أعلنت نهاية الأيديولوجيات»[3].

وقد أدى هذا التقاطع بين بعض أطروحات البنيوية وإعادة قراءة الماركسية في صيغتها الحديثة إلى بروز خطاب نقدي يميل إلى التشكيك في التصورات الأيديولوجية الجاهزة، ويدعو إلى تحليل البنى بدل الاكتفاء بالأفكار المسبقة، ومن ثمّ ساهم هذا المناخ الفكري في تعزيز نزعة نقدية جديدة داخل الفكر الغربي، جعلت من دراسة الأنظمة والبنى وسيلة لفهم الظواهر الإنسانية بعيدًا عن التفسيرات الإيديولوجية المباشرة.

لذلك يضيف عبد الله حمد خضر قائلا: «أن أول من طبق البنيوية اللسانية على النص الأدبي في الثقافية الغربية نذكر كل من رومان جاكبسون وكلود ليفي شتراوس على قصيدة (القطط) للشاعر الفرنسي بودلير في منتصف الخمسينيات، وبعد ذلك طبقت البنيوية

---

[1] وردة عبد العظيم عطا الله قنديل: رسالة ماجستير بعنوان: البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي، تحت إشراف عبد الخالق محمد العف، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد بكلية الآداب قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين 2010م، ص06، نوقشت.

[2] المرجع نفسه: ص06.

[3] محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط 2، 1997م، ص104.

على السرد مع رولان بارت وكلود بريموند وتودوروف، كما ستتوسع ليدرس الأسلوب بنيويا وإحصائيا مع بيير جيرو دون أن ننسى التطبيقات البنيوية على السينما والتشكيل والسينما والموسيقا والفنون والخطابات الأخرى»[1].

من خلال ما سبق نستنتج أن البنيوية بسطت نفوذها بالدخول تدريجيا للحياة السياسية والثقافية على أرض الواقع الفرنسي الذي كان منهمكا في صراعاته التي كانت بمثابة حرب باردة تجمدت فيها الأفكار ووقفت بلا حراك تنظيمي من بعيد إلى أن جاءت البنيوية لتذيب هذا الجمود محولة إياه إلى بركان يثور ثورة التمرد على كل الأيديولوجيات الفكرية المتبعة في تلك الفترة[2].

ثانيا- أهم أعلام البنيوية في الغرب:

1- فرديناند دي سوسير:

ولد دي سوسير في جنيف بسويسرا عام 1857م، والتحق بجامعتها عام 1875م، ليتخصص في دراسة الفيزياء واختلف بين الحين والآخر في حلقات البحث في النحو الإغريقي واللاتيني، وقد شجعته هذه البحوث على توقف دراسته ومغادرته إلى جامعة ليبزغ ليتخصص في اللغات الهندو أوروبية[3].

ويصدر بعد ذلك بأعوام أول كتاب له في اللغات وهو كتاب (النظام الصوتي في اللغات الهندو أوروبية القديمة) عام 1887م، وبعد أربع سنوات أصبح عضوا في الجمعية الألسنية الفرنسية، وعند عودته إلى جنيف شغل كرسي أستاذ اللغات لسنوات طويلة، قدم من خلالها سلسلة من المحاضرات نشرت بعد وفاته، وقد طبع الكتاب بعناية من تلاميذه سنة 1916م، أي بعد وفاته بثلاث سنوات، وقد ترجم إلى العربية بعنوان (محاضرات في الألسنية)[4].

---

[1] عبد الله خضر حمد: مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، ص129.

[2] ينظر: وردة عبد العظيم عطا الله قنديل: رسالة ماجستير بعنوان: البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي، ص 7-8.

[3] ينظر: عبد الله خضر حمد: مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، ص133.

[4] ينظر: إبراهيم خليل: مقال بعنوان: انقلاب ثوري في الألسنيات، مجلة أفكار، العدد 118، أوت 1994م، ص140.

وقد حاول دي سوسير من خلال كتابه هذا إعطاء مفهوم للغة في حد ذاتها وبين ثلاث مستويات من النشاط اللغوي (اللغة، اللسان، الكلام).

2- رومان جاكبسون:

يعد جاكبسون «الرجل المثال الذي فعل أكثر من غيره للحفاظ على دعوى المناهج اللغوية البنيوية في دراسة الأدب، والاعتماد على مقولات الألسُنية لوصف لغة النصوص الأدبية وإظهار خصائصها وتوسيع تلك الخصائص وإعادة تنظيمها»[1]. وقد تجلى ذلك في اهتمامه بالوظيفة الشعرية للغة، حيث ركز على الطريقة التي تُبنى بها الرسالة الأدبية من الداخل، من خلال اختيار العناصر اللغوية وتنظيمها بما يخدم الأثر الجمالي للنص، كما عمل على ربط التحليل اللساني بالتحليل الأدبي، فساهم في نقل الأدوات اللسانية إلى مجال النقد، وجعل من دراسة اللغة داخل النص الأدبي مدخلًا أساسيًا لفهم خصوصيته الفنية بحيث «تنطلق مقولاته من أن الأدب في مقامه الأول لغة، وأن البنيوية منهج يتخذ من علم اللغة أساسا له؛ لذلك يعمل على تطوير ثنائيات (التأليف والاختيار)، وينصب عمله بشدة في البحثِ عن تحقق الوظيفة الشعرية في اللغة داخل الأدب»[2].

3- فلاديمير بروب:

يعد (فلاديمير بروب) من الشكلانيين الذين بشروا ومهدوا الطريق للحركة البنائية في النقد، ويتميز بأنه –في المقام الأول– خصص كل أبحاثه لدراسة جنس أدبي شعبي هي الحكاية الخرافية أو حكايات الجن، وترجع أهمية هذه الأبحاث؛ ربما كانت الأولى لوضع قواعد عامة للقص الخرافي الجمعي الذي يعد بالنسبة إلى القص الفردي بمثابة اللغة بالنسبة للكلام على حد تعبير دي سوسير[3].

---

[1] عبد الله خضر حمد: مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، ص137–138.

[2] رومان جاكبسون: قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنوز، المعرفة الأدبية، دار توبقال للنشر، 1988م، ص24.

[3] ينظر: نبيلة إبراهيم: فن القص في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة، د ط، د ت، ص16.

يعد كتاب (مورفولوجيا الحكاية الخرافية)، لبروب حصيلة هذا التخصص والذي أثار ضجة كبيرة لدى ترجمته إلى الإنجليزية عام 1985م، وذلك؛ لأن مفكرا كبيرا مثل شتراوس فقد كان قد أخذ في معالجة الأساطير بمنهج شديد الشبه بذلك المنهج لبروب، ونشر كتابه عن (الأنثروبولوجيا البنائية) مما جعل بعض النقاد يعتبره امتدادا لمنهج بروب[1].

4- كلود ليفي شتراوس:

من أهم إسهامات شتراوس «أنه نشر كتابه (الأبنية الأولية للقرابة) في باريس سنة 1948م، حيث درس فيه علاقات المحارم التي افتتحت عصر البنائية، حيث حدد أن الهدف من دراسته هذه هو ليس معرفة المجتمعات في نفسها، وإنما اكتشاف كيفية اختلافها عن بعضها البعض، فمحورها إذن هو مثل علم اللغة هو القيم الأخلاقية»[2]. وقد اعتمد في هذا الكتاب على منهج يقارن بين أنظمة القرابة المختلفة، ساعيًا إلى الكشف عن البنى العميقة التي تتحكم في تنظيم العلاقات داخل المجتمعات، بدل الوقوف عند المظاهر السطحية لكل مجتمع على حدة، ومن ثمّ فقد تعامل مع الظواهر الاجتماعية بوصفها أنساقًا من العلاقات يمكن تحليلها كما تُحلل البنى اللغوية، وهو ما أتاح له تأسيس مقاربة أنثروبولوجية جديدة تقوم على فكرة النظام والاختلاف داخل البنية. ف «قد طبق المنهج الصوتي عند دي سوسير على دراسته الأنثروبولوجية فيرى أن علاقات القرابة مثلها مثل الحروف في الصوتيات في أنها عناصر للدلالة، كما أنه لا تكتسب دلالتها إلا بشرط أن تنخرط في نظم خاصة كالحروف تماما»[3].

ومن ثمّ فإن فهم أنظمة القرابة لا يتم عبر دراسة كل عنصر على حدة، بل من خلال تحليل موقعه داخل البنية العامة التي تنظم العلاقات الاجتماعية، فكما أن الحرف في النظام الصوتي لا يكتسب قيمته إلا من خلال اختلافه عن الحروف الأخرى داخل النسق اللغوي، فإن عنصر القرابة بدوره لا تتحدد دلالته إلا عبر علاقته ببقية العناصر داخل النظام الاجتماعي، وبذلك ينتقل التحليل من وصف الوقائع الجزئية إلى الكشف عن البنية الكلية التي تمنحها معناها ووظيفتها «وله كتاب آخر بعنوان ميثولوجيات، يعمد فيه إلى

[1] ينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 100.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 214.

[3] ينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص218.

محاولةٍ لجمع أساطير قارات أمريكا الشمالية والجنوبية؛ بغرض إظهار علاقاتها وإثبات قواها الموحدة للعقل البشري ووحدة منتجاته»[1].

يرى شتراوس أن الأساطير «كلام (نظام رمزي) والذي يمكن اكتشاف وحداته وقواعده التركيبية، ومن ثم فإن جزءاً من اللغة، (مجموعة جمل) يمكنها ان تعرفنا نظام اللغة كله، فإن الأساطير كذلك حيث هي لا تمثل سوى أداء جزئي خاص وعفوي لأسطورة مثالية كلية ذات هيكل عام يعتبر كاللغة بالنسبة لمظاهر القول المتعددة، وهذا النظام يهدف العالِم في دراسته إلى البحث عن بنيته محللا الأساطير التي تعد مظاهر تنفيذية محددة له»[2].

ويفهم من ذلك أن شتراوس ينظر إلى الأسطورة بوصفها نسقًا رمزيًا يمكن تفكيكه مثل اللغة، فكما أن الجملة تكشف عن قواعد اللغة العامة، فإن الأسطورة تكشف بدورها عن نظام أعمق يحكمها، لذلك لا يهتم الباحث بالأسطورة في شكلها الظاهر فقط، بل بما تحمله من علاقات داخلية تتكرر في نصوص أسطورية مختلفة، ومن خلال هذا التكرار يمكن الوصول إلى البنية الكامنة التي تنظّم التفكير الأسطوري داخل الثقافة.

[1] ينظر: جوناثان كللر: الشعرية البنيوية، ص63.

[2] ينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص216.

المحاضرة التاسعة: البنيوية في كتابات النقاد العرب المعاصرين

تمهيد:

تفاعل النقد العربي المعاصر مع البنيوية بوصفها أحد أهم المناهج الغربية الحديثة التي حاولت أن تقدم طريقة مختلفة في قراءة النص الأدبي، وقد جاء هذا التفاعل في سياق عام اتجه فيه الدرس النقدي العربي إلى البحث عن أدوات تحليل أكثر دقة تساعد على فهم بنية النص بدل الاكتفاء بالشرح العام أو القراءة الانطباعية.

ومع انتقال البنيوية إلى السياق العربي، لم تُستقبل بشكل واحد أو ثابت، بل تعددت طرق توظيفها بحسب خلفيات النقاد واهتماماتهم، فهناك من تعامل معها كمنهج جاهز يمكن تطبيقه مباشرة، وهناك من حاول تطويرها أو مواءمتها مع خصوصية النص الأدبي العربي وأسئلته النقدية.

أولا- البنيوية في الكتابات العربية:

دخلت البنيوية إلى الكتابات النقدية العربية في سياق مرحلة عرفت فيها الساحة الثقافية العربية انفتاحًا على المناهج النقدية الحديثة، خاصة تلك التي اهتمت بتحليل النص من الداخل بدل الاقتصار على العوامل الخارجية، وقد وجد عدد من النقاد العرب في هذا المنهج أداة جديدة تساعد على قراءة النصوص الأدبية بطريقة أكثر تنظيمًا ودقة، غير أن حضور البنيوية في الكتابات العربية لم يكن واحدًا أو متجانسًا، بل تباينت طرق تلقيها وتوظيفها بين نقاد تعاملوا معها كمنهج إجرائي جاهز، وآخرين حاولوا إعادة فهمها وتكييفها وفق خصوصية النص العربي وسياقه الثقافي فـ«البنيوية في النقد الأدبي العربي لم تكن مجرد استيراد لمنهج غربي، بل تحولت إلى أداة لإعادة قراءة النصوص العربية وفق مفهوم البنية الداخلية للنص»[1]. وقد ساعد هذا التحول على إعادة النظر في كيفية مقاربة النص الأدبي العربي، بحيث لم يعد يُقرأ باعتباره تعبيرًا مباشرًا عن تجربة خارجية، بل بوصفه بناءً

[1] صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص12.

لغويًا يقوم على علاقات داخلية تحدد دلالته. و«لقد ساهم المنهج البنيوي في نقل النقد العربي من الاهتمام بالمؤلف والسياق إلى الاهتمام بالبنية اللغوية للنص ذاته»[1].

ومن ثم أصبح النص هو محور التحليل، حيث توجه الاهتمام إلى دراسة طريقة تشكله اللغوي وآليات انتظام عناصره بدل البحث في حياة المؤلف أو الظروف التاريخية المحيطة به بحيث «تعتمد البنيوية على تحليل العلاقات الداخلية في النص، وهو ما جعلها تمثل ثورة منهجية في النقد الحديث»[2]. ويفسر هذا التحول كونه أعاد تنظيم أدوات القراءة النقدية، فصار المعنى يُستخرج من داخل النص عبر شبكة العلاقات التي تربط عناصره، لا من خارجه.

يقول "محمد مفتاح": «إن التحليل البنيوي للنصوص الشعرية يقوم على تفكيك البنية اللغوية إلى مستوياتها الصوتية والدلالية والتركيبية»[3]. ويهدف هذا التفكيك إلى الكشف عن كيفية تفاعل هذه المستويات داخل القصيدة لإنتاج معناها الجمالي، بدل الاكتفاء بالمعنى الظاهر أو التفسير العام فـ«البنيوية في النقد العربي لم تكن نقلًا حرفيًا، بل إعادة إنتاج معرفي يتفاعل مع التراث البلاغي العربي»[4]. وقد ظهر هذا التفاعل في محاولات بعض النقاد العرب ربط المفاهيم البنيوية بمفاهيم بلاغية قديمة، مما أتاح قراءة جديدة للتراث في ضوء المناهج الحديثة.

وإن قيمة المنهج البنيوي «تكمن في قدرته على تحويل النص إلى بنية مغلقة قابلة للتحليل العلمي»[5]. ويعني هذا أن البنيوية تنظر إلى النص الأدبي باعتباره كيانًا مستقلًا نسبيًا، يمكن دراسته من الداخل دون الحاجة الدائمة إلى الرجوع إلى مؤلفه أو سياقه التاريخي، فـ"إغلاق" النص هنا لا يعني عزله عن الواقع بشكل مطلق، بل يعني التعامل معه كنظام له قوانينه الداخلية التي يمكن وصفها وتحليلها بدقة، لذلك يصبح النص في المنهج البنيوي شبيهًا بموضوع علمي يمكن تفكيك عناصره، ورصد العلاقات اللغوية

---

[1] جابر عصفور: مفهوم الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 1995، ص08.

[2] عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، تونس، ط2، 1982، ص10.

[3] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص7.

[4] سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص18.

[5] حميد لحمداني: النقد الأدبي المعاصر، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1982، ص50.

الداخلية التي تربط بينها، ثم إعادة تركيبها لفهم منطق اشتغاله و«تسعى البنيوية إلى تجاوز القراءة الانطباعية نحو قراءة علمية تُركز على العلاقات الداخلية للنص»[1].

فهناك من النقاد العرب من يرى أن البنيوية لها جذور عند نقادنا القدامى، فعبد القاهر الجرجاني هو صاحب نظرية النظم، وهو يرى أن ليس للفظة في ذاتها- لا في جرسها ولا في دلالتها- بين الألفاظ والمعاني هي المقصودة في إحداث النظم والتأليف[2].

ويعني هذا الاتجاه أن فكرة العلاقات داخل النص ليست غريبة عن التراث العربي، بل يمكن العثور على ملامحها في نظرية النظم التي تؤكد أن المعنى لا يتحقق في المفردة منفصلة، بل في طريقة تركيبها داخل السياق.

[1] عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغرابة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1982، ص40.

[2] ينظر: جودت الركابي: مقال بعنوان: أدبنا والبنيوية، مجلة الموقف الأدبي، العدد 220-221، أوت 1989م.

المحاضرة العاشرة: قراءة في كتاب ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية لـ: محمد بنيس:

تمهيد:

يحتل كتاب (*ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب* لمحمد بنيس) مكانة خاصة في مسار النقد الأدبي العربي المعاصر، ليس فقط لأنه من أوائل الدراسات التي اهتمت بالشعر المغربي الحديث اهتمامًا علميًا ومنهجيًا، بل لأنه مثّل محاولةً جادةً لإعادة النظر في طرائق قراءة وتحليل هذا الشعر وفهمه، انطلاقا من توظيف آليات نقدية صريحة، فحين صدر الكتاب كانت الدراسات الأدبية المغربية ما تزال خاضعة في معظمها للمنهج التاريخي الوصفي الذي يركز على تتبع الشعراء والنصوص ورصد مراحل التطور، بينما كان (الكاتب محمد بنيس) يطمح إلى تجاوز هذا المستوى نحو بناء معرفة نقدية تكشف آليات تشكل الظاهرة الشعرية نفسها، ومن هنا لا يمكن النظر إلى هذا الكتاب بوصفه مجرد دراسة تطبيقية في الشعر المغربي، بل بوصفه مشروعًا نقديًا متكاملًا يسعى إلى مساءلة النصوص الشعرية من داخل بنياتها اللغوية ومن خلال ارتباطها بالسياق الثقافي والاجتماعي الذي أفرزها.

ويبدو –من خلال قراءتنا– للصفحات الأولى من هذا الكتاب أن المؤلف كان واعيًا بطبيعة الرهان الذي يخوضه؛ فهو لا يكتفي بتجميع المادة الشعرية أو تصنيفها، وإنما يسعى إلى بناء رؤية تفسيرية قادرة على استيعاب التحولات التي عرفها الشعر المغربي الحديث، ولذلك جاء الكتاب محمّلًا بأسئلة معرفية واضحة تتجاوز حدود النصوص الجزئية لتلامس إشكالية الحداثة الشعرية المغربية في أبعادها التاريخية والثقافية والجمالية.

أولا– فكرة وسياق تأليف هذا الكتاب:

في البداية لا بد أن نشير إلى نقطة مهمة وهي أنه لا يمكن فهم هذا الكتاب بعيدًا عن السياق الثقافي والفكري الذي ظهر فيه، فقد تزامن تأليفه مع مرحلة شهد فيها النقد العربي انفتاحًا واسعًا على المناهج الغربية الحديثة على اختلافها، خاصة البنيوية والسيميائية والأسلوبية والبنيوية التكوينية، وفي المغرب على وجه الخصوص، كانت الساحة الثقافية

تعيش حراكًا فكريًا مهمًا ارتبط بأسئلة الهوية والتحديث والاهتمام بالتراث بنوعيه، وقد انعكست هذه التحولات على الكتابة الشعرية التي بدأت تبحث عن أشكال جديدة للتعبير وعن رؤى مختلفة للعالم.

في هذا المناخ الفكري والثقافي والمعرفي، شعر الكاتب "محمد بنيس" بأن الشعر المغربي لا يزال في حاجة إلى دراسة تكشف منطقه الداخلي وتبرز خصوصيته التاريخية والثقافية، ولذلك لم يكن هدفه التأريخ للشعر المغربي أو تقديم بانوراما للأسماء الشعرية، وإنما البحث في الشروط التي جعلت من الشعر المغربي المعاصر ظاهرة أدبية متميزة، ومتفردة عن غيرها، ومن هنا نفهم لماذا جاء الكِتاب مشبعًا بالأسئلة النظرية والمنهجية، إذ كان صاحبه منشغلًا بتأسيس معرفة جديدة أكثر من انشغاله بتقديم أحكام نقدية جاهزة.

ثانيا– المنهج النقدي الذي اعتمد في هذا الكتاب:

1– المنهج البنيوي التكويني:

اختيار "محمد بنيس" لمنهج البنيوية التكوينية لم يكن اختيارًا اعتباطيا أو مجرد مسايرة للأحكام أو الآليات النقدية السائدة آنذاك، بل كان نابعًا من اقتناع بأن هذا المنهج يوفر إمكانية الجمع بين ما يبدو متناقضًا: **(استقلالية النص الأدبي من جهة، وارتباطه بالواقع الاجتماعي من جهة أخرى)**، فالكتاب ينطلق من تصور يرى أن العمل الأدبي لا يمكن اختزاله في ظروف إنتاجه الاجتماعية، كما لا يمكن عزله عن تلك الظروف عزلاً تامًا ولذلك لذلك فالمؤلف يحاول أن يقرأ النصوص الشعرية بوصفها بنيات دلالية وجمالية تكشف في الوقت نفسه عن رؤية معينة للعالم.

ومن خلال هذه المقاربة النقدية يبدو تأثر "محمد بنيس" الواضح بأفكار لوسيان غولدمان، خاصة فيما يتعلق بمفهوم «رؤية العالم»، فالشعر عنده ليس مجرد تعبير فردي عن تجربة ذاتية، بل هو صياغة جمالية لوعي جماعي يتشكل داخل سياق تاريخي محدد، وهذا ما منح الدراسة عمقًا نظريًا واضحًا، لكنه جعلها أيضًا تتطلب قارئًا يمتلك معرفة مسبقة بالمفاهيم النقدية الحديثة «وتتفق "يمنى العيد" مع ما ذهب إليه "محمد خرماش" من أن

"بنيس" تبنى المنهج الاجتماعي الجدلي، حين استنتج من دراسته البنيوية انغلاقها على النص، في حين أنّ ما تبناه من منهج لا يعزل النص، بل يجعله منفتحا على عدة مستويات، أما فيما يخص مقدرة "بنيس" التوفيق بين المنهجين الاجتماعي الجدلي والبنيوي التكويني، فتقول "يمنى العيد" عنه أنه استطاع»[1].

وقد عرض قبل ذلك المنهج البنيوي وكل ما يتعلق به من أصول لسانية وآليات نقدية.

2- تجاوز الكتاب للقراءة التقليدية ومحاولة البحث عن مقاربة جديدة للنص الأدبي:

ما يلفت الانتباه في هذا المُؤَلف هو الطابع النقدي الذي يطبع موقف "بنيس" من الدراسات السابقة، فهو لا يخفي تحفظه تجاه القراءات التي كانت تكتفي بتقديم معطيات تاريخية أو معلومات بيبليوغرافية عن الشعراء دون النفاذ إلى البنية الداخلية للنصوص وتقديم قراءة داخلية متعلقة بالبنية اللغوية للنص، ولذلك نجده يدعو ضمنيًا إلى الانتقال من نقد يهتم بما يحيط بالنص وبظروفه أو سياقاته الخارجية إلى نقد يهتم بكيفية اشتغال النص ذاته، بمعنى الانتقال بالدراسة إلى النسق وبعيدا عن السياق.

ولا يعني ذلك أن المؤلف يرفض التاريخ أو السياق، بل على العكس من ذلك، فهو يمنحهما أهمية كبيرة، غير أنه يرفض التعامل معهما بوصفهما غاية في حد ذاتهما. فالتاريخ بالنسبة إليه لا يصبح ذا قيمة إلا حين يساعد على فهم التحولات التي تصيب البنية الشعرية، والسياق الاجتماعي لا يكتسب أهميته إلا عندما يسهم في تفسير الرؤية التي يحملها النص.

ثالثا- الإشكالية التي يطرحها الكتاب:

تنبني الدراسة كلها على سؤال مركزي يكاد يكون حاضرًا في جميع فصول الكتاب: كيف تشكلت ظاهرة الشعر المغربي المعاصر؟ ويبدو هذا السؤال في ظاهره بسيطًا، لكنه

[1] عبد العزيز بن تيشة، بوعزة عبد القادر: تَمَثُّلات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس بين التوفيق والتلفيق، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد 4، العدد 3، سبتمبر 2021م، ص 229.

يخفي وراءه مجموعة من الإشكالات المعقدة المتعلقة بمفهوم الحداثة والهوية والعلاقة بالمشرق العربي والغرب في آن.

ويحاول "محمد بنيس" أن يبرهن على أن الشعر المغربي الحديث لا يمكن تفسيره باعتباره مجرد امتداد للتجربة المشرقية، لأن لكل تجربة شروطها الخاصة في التكوين والتطور، ولذلك فإن فهم الشعر المغربي يقتضي العودة إلى البنية الثقافية والاجتماعية للمغرب وإلى التحولات التي عرفها المجتمع المغربي خلال القرن العشرين، ومن هنا تتحول الدراسة إلى محاولة للكشف عن خصوصية التجربة الشعرية المغربية بدل الاكتفاء بمقارنتها بالتجارب العربية الأخرى.

رابعا- أهم أطروحات الكتاب:

1- خصوصية الحداثة الشعرية المغربية:

إن من أبرز الأفكار التي يدافع عنها المؤلف "بنيس" هو رفضه للنظرة التي تجعل الحداثة الشعرية المغربية مجرد صدى لما تحقق في المشرق العربي، فهو يرى أن الحداثة لا تنتقل بصورة آلية من بيئة إلى أخرى، وإنما يعاد تشكيلها داخل كل سياق ثقافي وفق شروطه الخاصة، ولذلك فإن الحداثة الشعرية المغربية ليست تقليدًا جاهزًا لنماذج سابقة، بل هي نتاج تفاعل معقد بين التراث العربي والواقع المغربي والمرجعيات الفكرية الحديثة حيث «يختار بنيس مجموعة من نصوص من الشعر المغربي المعاصر موضوعا لدراسته. تشكل مجموعة النصوص هذه، بما بينها من علاقة تحدد اختيارها، نصا أو كما يسميها متنا، يقرأ الدارس هذا المتن مقاربا البنية السطحية من الناحية العروضية واللسانية، والدلالية. يحلل المتن في بنيته الزمانية والمكانية مستهدفا كشف قوانينه. وهو في المرحلة الأولى، أي في مرحلة التحليل هذه ينظر في تجليات البنية السطحية للمتن ويصل إلى كشف ثلاثة قوانين هي:

- قانون التجريب الذي يحكم بنية الزمان والمكان في النص
- قانون السقوط والانتظار الذي يحكم بنية المتتاليات.

- قانون الغرابة الذي يحكم البنية البلاغية والمتميزة بكونها بلاغة الغموض» [1].

فمن خلال دراسته للشعر المغربي المعاصر «أن يقدم تجربة لها رغم اعتمادها على هذين المنهجين، صياغتها المنهجية الخاصة، وهي وإن كانت، في أساسها، ممارسة تجمع بين منهجين؛ إلا أنها استطاعت.. أن تنتج طابعا منهجيا يميزها، وأن تستبطن مفهوما خاصا تعتمده في النظر إلى النص الأدبي»[2].

وتكشف هذه الأطروحة عن وعي نقدي متقدم؛ لأنها تحاول تحرير الشعر المغربي من موقع التبعية الذي وُضع فيه طويلًا، كما أنها تعكس رغبة واضحة في بناء تصور للحداثة يقوم على الخصوصية لا على الاستنساخ، وهو ما جعل الكتاب يسهم في إعادة الاعتبار للتجربة الشعرية المغربية داخل المشهد الأدبي العربي.

«قسّم "بنيس" مقاربته البنيوية التكوينية لظاهرة الشعر المعاصر في المغرب إلى ثلاثة أبواب على حسب ترتيب كتابه، أما الأول فقد أقامه لمجال القراءة الداخلية لمجموع النصوص الشعرية التي عدّها متنا واحدا، حيث استكشف في فصله الأول تجليات بنيته السطحية، وحَكَمَها بقوانين الزمان والمكان، وبلاغة الغموض، وجعل فصله الثاني لتجليات البنية العميقة، وحَكَمَها هي الأخرى بقوانين التجريب، السقوط والانتظار، وأخيرا الغربة. وفي ختام هذا الباب وصل إلى نتيجة مفادها أن قانون السقوط والانتظار هو من يتحكّم في الرابطة بين البنية السطحية والبنية العميقة، وأن كلّ القوانين بمجموعها تضبط العلاقة بين الإبداع (الشعر) وبين المبدعين (الشعراء) من جهة، وتحكم بينهما وبين الواقع الاجتماعي الجماعي الخارجي من جهة أخرى»[3].

أما الباب الثاني «فقد انتقل فيه من القراءة الداخلية للمتن إلى المجال الشعري الثقافي المغربي خاصة، في بنية أكثر عمقا وهي الناحية الاجتماعية والتاريخية، فشملت الدراسة فيه

---

[1] يمنى العيد: في معرفة النص، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت–لبنان، ط3، 1985م، ص125.

[2] يمنى العيد: في معرفة النص، ص124–125.

[3] عبد العزيز بن تيشة، بوعزة عبد القادر: تَمَثُّلات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس بين التوفيق والتلفيق، ص 222.

تحديد النص الغائب في المتن، وتمييز زمانه المعاصر المغربي، والعربي القديم، والأوروبي، وعالج تمظهرات هذا النص الغائب عبر هاته الأزمنة الثقافية المختلفة»[1].

وفي الفصل الثاني «طالَعَنا "بنيس" على خطوات تشكّل بنية المتن النصية، بواسطة العودة إلى فترات تاريخية ماضية، وعدم حصر دراسة المتن على زمانه الخاص به، فدراسة الزمان والمكان عالج فيها "بنيس" المميزات التي تجمع الطابع الشعري المغربي المعاصر من حيث ميله إلى التجديد في الكتابة الشعرية، وأمرٌ آخر أظهر "بنيس" الانفصال الحاصل في التأثير بين الأجيال الأدبية والشعرية خاصة، مما قطع الصلة بين جيل الشعر الحداثي والجيل الذي بعده؛ وأبقى غالب التأثُّر موصول بأدب المشرق وشعره»[2].

وفي الفصل الثالث «حاول تعيين الخطوط العريضة لحدود الشعر، واهتم بشكلٍ أساس على تتبع الشعر المغربي المعاصر، ورصد مواطن الضعف الكمّي له، وحركة النقد للتقليد، وما تبعها من كشفٍ ما لا يوجد من فروق بين قديم الشعر وجديده، كما عرّج في آخر هذا الفصل على جملة من المصطلحات النقدية التي تميّز بها المجددون في شعرهم عن القديم»[3].

أمّا الباب الثالث فقد أدخل البنيتين الداخلية والخارجية للمتن في بنية هي أكثر اتساعاً، والمتمثلة في البنية الاجتماعية والتاريخية وقسّم هذا الباب إلى ثالثة فصول: حيث خصّص الفصل الأول للناحية النظرية وبيّن فيه دوافع اختياره للبنيوية التكوينية الجولدمانية، أما الفصل الثاني فاجتهد فيه "بنيس" لمعرفة الخصائص المتحكمة في عكسِ الواقع الاجتماعي والتاريخي على النصوص الشعرية للمتن، وعمل كذلك على إبراز تأثير البرجوازية الصغيرة الأوروبية، وكيف أوجدت هذه الأخيرة نظيرة لها في المغرب، مع الفارق بين البرجوازيتين،

الذي يعطي نفس التأثير حتما، أما فيما يتعلق الفصل الثالث فقابل –في مرحلة كتابة النصوص الشعرية المغربية المعاصرة التي عدّها متنا واحدا–بينها وبين واقعها الاجتماعي،

---

[1] عبد العزيز بن تيشة، بوعزة عبد القادر: تَمَثُّلات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس بين التوفيق والتلفيق، ص222.

[2] المرجع نفسه: ص223.

[3] نفسه: ص223.

ووصل إلى نتيجة مفادها أن البرجوازية المغربية الصغيرة وواقعها التاريخي والاجتماعي محكوم بقانون السقوط والانتظار، كما عالج هنا الواقع الشعري المأزوم الذي عرفه شعراء هذه الحقبة الزمنية[1].

2- العلاقة بين الشعر والتحولات الاجتماعية:

لا يتعامل "محمد بنيس" مع الشعر بوصفه نشاطًا جماليًا معزولًا عن المجتمع، بل يراه جزءًا من الحركة العامة للتاريخ والثقافة، ولذلك يربط بين التحولات التي شهدها الشعر المغربي وبين التحولات التي عرفها المجتمع المغربي في مرحلة الاستعمار وما بعد الاستقلال فالتغيرات التي أصابت الوعي الاجتماعي والسياسي والثقافي انعكست بصورة مباشرة أو غير مباشرة في طبيعة الخطاب الشعري.

غير أن ما يميز طرحه هو أنه لا يقع في التفسير الانعكاسي المباشر الذي يجعل النص مجرد صورة للواقع، فالعلاقة بين الشعر والمجتمع عنده علاقة معقدة تمر عبر اللغة والرمز والبنية الفنية، ولهذا فإن النص الشعري لا يعكس الواقع كما هو، بل يعيد تشكيله وفق رؤية جمالية خاصة.

3- مركزية اللغة الشعرية وتحولاتها:

أعتقد أن اللغة هي المحور الأكثر حضورًا في رؤية "بنيس" للشعر، فهو ينطلق من فكرة مفادها أن كل تحول حقيقي في الشعر هو في جوهره تحول في اللغة ولذلك فإن الحداثة الشعرية لا تُقاس عنده بتغيير الموضوعات أو الأشكال الخارجية فقط، وإنما بقدرة الشاعر على خلق لغة جديدة تنتج علاقات جديدة بين الكلمات والأشياء.

ومن هنا يركز المؤلف على التحولات التي عرفتها اللغة الشعرية المغربية الحديثة، ويرى أن هذه التحولات كانت علامة على انتقال الشعر من التعبير المباشر إلى بناء عالم رمزي أكثر تعقيدًا وانفتاحًا على التأويل، وهذا الجانب من الكتاب يكشف حساسية بنيس

[1] ينظر: عبد العزيز بن تيشة، بوعزة عبد القادر: تَمَثُّلات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس بين التوفيق والتلفيق، ص223.

الشعرية نفسها، فهو لا يكتب بوصفه ناقدًا فقط، بل بوصفه شاعرًا يدرك أن جوهر التجربة الشعرية يكمن في اللغة قبل أي شيء آخر.

خامسا- القيمة العلمية للكتاب:

تكمن القيمة الحقيقية لهذا الكتاب في أنه لم يضف دراسة جديدة إلى الدراسات الموجودة فحسب، بل غيّر زاوية النظر إلى الشعر المغربي المعاصر، فقد أسهم في تأسيس تقليد نقدي جديد يقوم على التحليل المنهجي للنصوص وربطها بسياقاتها الثقافية والتاريخية، كما أنه قدم نموذجًا مبكرًا لكيفية الإفادة من المناهج الحديثة دون التخلي عن خصوصية الموضوع المدروس.

ولعل أهم ما يميز الكتاب أنه لم يفقد راهنيته رغم مرور عقود على صدوره؛ فما تزال كثير من الأسئلة التي طرحها حول الحداثة والهوية والعلاقة بين الشعر والمجتمع مطروحة إلى اليوم. وهذا دليل على أن قيمته لا تكمن في المعلومات التي يقدمها فقط، وإنما في طبيعة الإشكالات الفكرية والنقدية التي يثيرها.

سادسا- قراءة نقدية للكتاب:

1- إيجابيات الكتاب:

تكشف قراءة الكتاب أن "محمد بنيس" نجح في بناء مشروع نقدي متماسك استطاع من خلاله أن ينقل دراسة الشعر المغربي من مستوى الوصف إلى مستوى التحليل والتفسير، كما تمكن من توظيف أدوات البنيوية التكوينية بطريقة جعلت النص الشعري حاضرًا داخل سياقه التاريخي دون أن يفقد خصوصيته الجمالية، وإلى جانب ذلك، يُحسب له أنه أسهم في ترسيخ الوعي بخصوصية الحداثة الشعرية المغربية، وأنه فتح أمام الباحثين آفاقًا جديدة لدراسة الأدب المغربي وفق مناهج حديثة.

لذلك «فإنّ "بنيس" قد زاوج عند تبنيه البنيوية التكوينية، بين البنيوية الشكلية والمنهج الاجتماعي الجدلي، وعند قراءته للبنية السطحية اعتبر مجموع النصوص الشعرية متنا

واحدا، وذكرّ أنها "مقاربة بنيوية تكوينية" لكنه لم يتقيد تماما بمنهج المقاربة الذي حدده في العنوان، وغاية ما في الأمر، أنه اعتمد -إلى حد بعيد- على البنيوية الشكلية، والمنهج الاجتماعي الجدلي. حيث يظهر في قراءته المزج والمزاوجة بين المنهجين، وهذا توليف وتلفيق ينمُّ عن نقصٍ في اكتناه "البنيوية التكوينية" بحذافيرها على حسب رؤية "لوسيان-غ" لها. ولما نظرنا في مقدمة بحثه لم نجد ما يدلل على أنه أدرك حقيقة المنهج على أساس الجدلية بين المكون الباني والبنية السطحية التي تعد تشكيلا له، وصورة منعكسة عنه»[1]. فالنص الأدبي عند "بنيس" يخضع «لجدليتين، أولاهما اجتماعية، وثانيها محايثة للممارسة الابداعية، ومعنى هذا أن النص يتمتع باستقلال نسبي عن الواقع الاجتماعي الذي أنتجه، رغم العلاقة الحميمة الموجودة بينهما. والنص على هذا الأساس يخضع لجدلية خاصة داخل خضوعه لجدلية أعم وأشمل»[2].

2- ملاحظات نقدية:

ومع الاعتراف بالقيمة العلمية للكتاب، فإن القارئ لا يخلو من بعض التحفظات، فالحضور المكثف للإطار النظري يجعل النص في بعض المواضع يبدو خاضعًا للمنهج أكثر من خضوع المنهج للنص، كما أن الاعتماد الكبير على المرجعيات الغربية يؤدي أحيانًا إلى تراجع صوت التجربة الشعرية نفسها أمام ثقل المفاهيم النظرية، ويلاحظ كذلك أن الرهان السوسيولوجي ظل حاضرًا بقوة في بعض التحليلات، الأمر الذي جعل الجوانب الجمالية الخالصة أقل بروزًا مما كان يمكن أن تكون عليه.

وفي نهاية المطاف يظهر لنا أنّ "محمد بنيس" يركز على مفهوم لوسيان غولدمان في مفهوم «التماثل البنائي بين عالم الأدب التخيّلي وعالم الواقع الاجتماعي، أو بين الإبداع التصوري والتجربة المعيشية، ويعدّه وسيلة ناجعة لتجاوز مفهوم الانعكاس المباشر، الذي لا يساعد على فهم العلاقة الموجودة بين ما هو موضوعي في الواقع وما هو خيالي في النص

[1] عبد العزيز بن تيشة، بوعزة عبد القادر: تَمَثُّلات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس بين التوفيق والتلفيق، ص ص 219-232.

[2] محمد بنيس ظاهرة الشعر العربي المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979م، ص24.

الأدبي، ولا يقرب من الأسلوب الصحيح في حل علاقة الأدب بالواقع، وفي إدراك ما هو اجتماعي/تاريخي، فيما هو أدبي/فني (أو إنشائي)»[1].

ومع ذلك فإن هذه الملاحظات لا تقلل من أهمية الكتاب، بل تؤكد طابعه التأسيسي؛ فالأعمال المؤسسة غالبًا ما تثير النقاش بقدر ما تقدم الإجابات.

خاتمة:

إن قراءة كتاب ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب تكشف أننا أمام مشروع نقدي تجاوز حدود الدراسة الأكاديمية ليصبح جزءًا من تاريخ الفكر الأدبي المغربي المعاصر، فقد سعى محمد بنيس إلى إعادة تعريف الشعر المغربي من خلال ربطه بأسئلته الثقافية والتاريخية والجمالية، كما حاول أن يمنحه موقعًا مستقلًا داخل خريطة الشعر العربي الحديث، ولذلك ظل هذا الكتاب، على الرغم من مرور سنوات طويلة على صدوره، واحدًا من أهم المراجع التي لا يمكن تجاوزها عند دراسة الشعر المغربي الحديث أو تتبع تطور النقد الأدبي بالمغرب، فهو ليس مجرد كتاب عن الشعر، بل شهادة على لحظة فكرية كاملة حاولت أن تعيد التفكير في الأدب والحداثة والهوية بمنهج جديد ورؤية نقدية مختلفة.

[1] محمد خرماش: عنوان المقال: البنيوية التكوينية في الدراسات الأدبية في المغرب، مجلة فصول (4/3) المجلد 9 فبراير 1991م، ص127.

المحاضرة الحادية عشر: قراءة في كتاب (في معرفة النص) لـ: يمنى العيد:

تمهيد:

يُعدّ كتاب (في معرفة النص) للناقدة اللبنانية "يمنى العيد" من أهم الكتب النقدية العربية التي أسهمت في ترسيخ الوعي بالمناهج الحديثة في قراءة النص الأدبي خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، وقد جاء هذا الكتاب في سياق شهد تحولات عميقة في الدرس النقدي العربي نتيجة انفتاحه على منجزات اللسانيات والبنيوية والسيميائيات ونظريات القراءة والتلقي، ومن ثمّ لا يكتفي الكتاب بتقديم مفاهيم نقدية جديدة، بل يطرح مشروعًا معرفيًا يسعى إلى إعادة النظر في العلاقة بين النص والقارئ والواقع، وإلى تجاوز القراءات التقليدية التي كانت تنظر إلى النص الأدبي بوصفه وعاءً للأفكار أو انعكاسًا مباشرًا للواقع الاجتماعي، لذلك اكتسب الكتاب مكانته بوصفه محاولة جادة لتأسيس معرفة نقدية حديثة بالنص الأدبي، تقوم على التحليل والكشف والتأويل بدل الوصف والانطباع.

أولا- محتويات الكتاب وأهم الأفكار التي تخللتها الفصول:

سنحاول أن نعرض في هذا الشق أهم الأفكار التي تناولتها يمنى العيد وذلك من خلال أقسام الكتاب.

القسم الأول- عن البنيوية وعن الواقعية:

يشير عنوان القسم إلى أن الكتاب يقوم على ثنائية مركزية هي ثنائية البنيوية والواقعية، غير أن صياغة العنوان بـ"عن البنيوية وعن الواقعية" توحي بأن المؤلف لا يتبنى موقفًا عقائديًا من أي منهما، بل يحاول التفكير فيهما ومناقشتهما من الخارج والداخل معًا.

الفصل الأول- المنشأ اللساني للبنيوية: تعريف نطرحه على مسارنا النقدي.

يبدأ المؤلف بالبنية النظرية للبنيوية من خلال العودة إلى جذورها اللسانية عند سوسير، وهو اختيار منهجي مهم؛ لأن فهم البنيوية الأدبية يظل ناقصًا دون فهم أسسها اللغوية،

وتكشف العناوين الفرعية مثل: "مفاهيم البنيوية" و"المنهج البنيوي في مقاربة موضوعه" عن رغبة في الانتقال من المستوى النظري إلى المستوى الإجرائي.

حيث تقول يمنى العيد: «- كيف يقارب إذا المنهج البنيوي موضوعه الذي قد يكون النص الأدبي؟ ينطلق المنهج البنيوي من هذه المفاهيم التي هي أدواته، أول خطوة في المنهج هي تحديد البنية أو النظر إلى موضوع البحث كبنية، أي كموضوع مستقل، قد تكون هذه البنية هي المجتمع اللبناني مثلا، وقد تكون مجموعة نصوص شعرية أنتجها شعراء لبنانيون بين عامي: 1975-1980، أي مجموعة نصوص لها من الشروط ما يخولها أن تكون بنية. وقد تكون هذه البنية نصا شعريا واحدا أو رواية إلخ»[1]. فحسب رؤية يمنى العيد فإن المحلل البنيوي في تحليله لهذه البنية لا بد أن يركز على شيئين مهمين وهما: أولا- عزل هذه البنية وتحييدها عن باقي الظروف المحيطة بها، وثانيا- استدعاء بعض العلوم الأخرى المساعدة في تحليل هذه البنية كعلم اللسانيات والصرف والنحو وغيرها.

ويبدو أن المؤلف يركز على فكرة استقلال النص الأدبي، وعلى العلاقات الداخلية التي تنتج الدلالة بعيدًا عن المرجع الخارجي، وهذا يدل على أن الكتاب يمنح أهمية كبيرة للتحول الإبستمولوجي الذي أحدثته البنيوية في النقد الحديث، حين نقلت مركز الاهتمام من المؤلف والواقع إلى النص ذاته، «إن المنهج البنيوي أثبت قدرته على كشف ما لم يكن معروفا من خصائص الشكل الظاهر، واستطاع أن يصل إلى العام والمشترك، وإلى ما هو علمي وإلى ما هو منطق. كما أثبت هذا المنهج خصوبته فاعتمده الباحثون في دراسة الأساطير وفي دراسة العقليات البدائية كما في ميادين عدة، منها ميدان النقد الأدبي» [2].

الفصل الثاني- الواقعية سؤال في معرفة النص:

هذا الفصل يبدو الأكثر عمقًا وإثارة للإشكال؛ لأن المؤلف لا يقدم الواقعية باعتبارها مدرسة أدبية فحسب، وإنما باعتبارها "سؤالًا في معرفة النص"، وهذه الصياغة تنقل الواقعية من مستوى التصنيف الأدبي إلى مستوى النظرية المعرفية.

[1] يمنى العيد: في معرفة النص، ص 35.

[2] المرجع نفسه: نفس الصفحة.

وتكشف العناوين الفرعية عن أسئلة جوهرية مثل: العلاقة بين الأدب والظاهرة الاجتماعية، ومشكلة الخارج والداخل، وإمكان معرفة الواقع عبر النص الأدبي. كما أن حضور ثنائيات مثل "اللغة/القول"، و"الواقعي الإيديولوجي"، و"عبور القول إلى بنية الشكل" يدل على أن المؤلف لا يتعامل مع الواقعية بوصفها انعكاسًا مباشرًا للواقع، بل بوصفها عملية فنية ولغوية معقدة، حيث تقول "يمنى العيد": «في كلام بسيط تعني واقعية الأدب انتماؤه للواقع الاجتماعي، أو نسبته إليه. في حدود هذه البساطة قد يصبح الكلام على واقعية الأدب كلاما على الواقع المادي في حدثيته المادية، أو في العلاقات المادية فيه. فالكلام على الظاهرة ربما لا يفيد، إلا في ضوء الكلام عن مرجعها. هكذا، فقد يؤدي الكلام على الأدب إلى الكلام على مرجعه، بل أكثر من ذلك، فقد يصير كل الكلام على الأدب كلاما على مرجعه، لا غير، الذي هو أصله، والذي هو، الـ أصل لكل الظاهرات»[1].

ومن الناحية النقدية يمكن القول إن هذا الفصل يشكل محاولة لتجاوز الفهم التقليدي للواقعية الذي يختزلها في النسخ أو المحاكاة، نحو فهم أكثر حداثة يربطها بآليات التمثيل وبناء المعنى.

القسم الثاني: المسألة النقدية والمسألة الشعرية.

الفصل الأول: خطوات عريضة في البحث عن هوية القصيدة العربية الجديدة.

يتناول هذا الفصل محاولة الكشف عن الخصائص التي تميز القصيدة العربية الجديدة وتمنحها هويتها الفنية الخاصة، وتنطلق "يمنى العيد" من مساءلة البنية الداخلية للنص الشعري من خلال دراسة العناصر التي أسهمت في تجاوز النموذج الشعري التقليدي، فتتوقف عند تفكك العناصر القديمة وإعادة تنظيمها ضمن علاقات جديدة تفرضها تجربة الحداثة. كما تدرس الموسيقى الداخلية والإيقاع بوصفهما عنصرين أساسيين في بناء القصيدة الحديثة، مبينة أن الشعر لم يعد قائمًا على الوزن الخارجي وحده، بل أصبح يعتمد على شبكة من العلاقات الصوتية والدلالية التي تنتج إيقاعه الخاص، وتولي اهتمامًا خاصًا للصورة الشعرية باعتبارها أداة لتوليد المعنى وتجسيد الرؤية الشعرية الجديدة، قبل أن تنتهي

[1] يمنى العيد: في معرفة النص، ص 43.

إلى تحليل العلاقة بين الداخل والخارج في النص وإبراز كيفية تشكل الدلالة الجمالية داخل القصيدة الحديثة بوصفها بناءً متعدد المستويات والدلالات.

الفصل الثاني: في النقد البنيوي وفي البنيوية التكوينية – الجدلية عند محمد بنيس.

يتناول هذا الفصل تجربة "محمد بنيس" النقدية من خلال ربطها بالمنهج البنيوي التكويني وبالسياق الفكري الذي تشكلت فيه، وتناقش "يمنى العيد" طبيعة المشروع النقدي الذي سعى بنيس إلى تأسيسه من خلال دراسته للشعر المغربي الحديث، متوقفة عند علاقته بالنقد الأدبي وبالنشاط الفكري والثقافي في المغرب، كما تحلل الطريقة التي استفاد بها من مفاهيم البنيوية التكوينية في قراءة النصوص الشعرية، مع إبراز حدود هذه المقاربة وإمكاناتها المعرفية، ويأخذ النقاش بعدًا نقديًا حين تتساءل الكاتبة عن موقع الجمالي في مشروع بنيس، وعن مدى قدرة المنهج الاجتماعي والبنيوي على استيعاب خصوصية التجربة الشعرية دون اختزالها في شروطها الخارجية، لتخلص إلى أن قيمة المشروع تكمن في محاولته التوفيق بين تحليل البنية الشعرية والكشف عن أبعادها الفكرية والاجتماعية «لقد استطاع النقد الأدبي بصفته البحثية، ورغم بعض الوقائع الأيديولوجية أن يفيد من هذه الإنجازات وينتج نظرياته في النقد البنيوي وفي النقد البنيوي التوليدي وفي السيميوتيك والسيمونتيك.. وأصبحت أسماء مثل غولدمان وبارت ولوتمان وجانيت وكوهان وجريماس، وجوليو كريستيفا وميشريه وريفاتير.. أسماء تقدم أعمالها لتبلور منهجا أكثر تكاملا أي أكثر قدرة على معرفة النص الأدبي في سره وغناه وفي خصائصه ونظامه»[1].

القسم الثالث: النقد والتجريب – دراسات نصية.

الفصل الأول: الموقع الفكري وأثره في توليد دلالات النص – دراسة لقصيدة «تحت جدارية فائق حسن» لسعدي يوسف.

تسعى "يمنى العيد" في هذا الفصل إلى تقديم نموذج تطبيقي لقراءة النص الشعري، من خلال تحليل قصيدة "تحت جدارية فائق حسن"، وتنطلق من فكرة أن النص الأدبي لا

[1] يمنى العيد: في معرفة النص، ص118.

ينتج معناه بطريقة مباشرة، بل تتولد دلالاته عبر حركة داخلية معقدة تقوم على التكرار والتقابل والتفاعل بين المستويات المختلفة للنص، وتدرس الكاتبة بناء القصيدة وحركة المعنى فيها، موضحة كيف تتشكل الدلالة من خلال الصراع بين عالمين أو حركتين متقابلتين داخل النص، كما تكشف العلاقة بين البنية الفنية للقصيدة وبين أفقها الاجتماعي والفكري، مبينة أن النص الشعري لا يكتفي بعكس الواقع، بل يعيد بناءه وفق رؤية جمالية خاصة تجعل من عملية القراءة فعلًا تأويليًا مفتوحًا على احتمالات متعددة.

الفصل الثاني: مستويات البنية والوظيفة الدلالية – دراسة لرسالة الخليفة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري.

يقدم هذا الفصل قراءة تحليلية لنص تراثي مشهور هو رسالة الخليفة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، بهدف الكشف عن مستويات البناء الدلالي فيه، وتنطلق الكاتبة من تفكيك الرسالة إلى وحداتها الأساسية، فتتوقف عند الجمل والفقرات والعلاقات التي تربط بينها، ثم تنتقل إلى دراسة المستويات اللغوية والزمنية والمكانية التي تسهم في بناء المعنى. كما تحلل الوظائف الدلالية التي تؤديها عناصر النص المختلفة، مبينة كيف تتكامل البنية اللغوية مع البنية الفكرية لإنتاج خطاب يتميز بالوضوح والإقناع والتنظيم، ومن خلال هذا التحليل تؤكد يمنى العيد أن النصوص التراثية، شأنها شأن النصوص الأدبية الحديثة، تمتلك أنظمة داخلية دقيقة يمكن الكشف عنها عبر القراءة المنهجية التي تربط بين البنية والدلالة.

الفصل الثالث– محاور البنية ومكوناتها في رواية «السؤال» لغالب هلسا.

هنا ينتقل الكتاب من التنظير إلى التطبيق، وهو انتقال ضروري لاختبار صلاحية المفاهيم السابقة. اختيار رواية "السؤال" موضوعًا للتحليل يدل على أن المؤلف يرى فيها نموذجًا يسمح بالكشف عن العلاقة بين البنية والدلالة، ويظهر ذلك من خلال الانتباه إلى كثافة المفاهيم السردية المستعملة: الخيال، المحاور، الرؤية الروائية، الفاعل، الهوية، الحلم، المكان، الدلالة، وهذا يدل على اعتماد مقاربة بنيوية سردية قريبة من أعمال السيميائيين والبنيويين الذين يركزون على العلاقات الداخلية للشخصيات والأحداث.

كما أن تحليل الشخصيات والمحاور السردية لا يهدف فيما يبدو إلى وصفها فقط، بل إلى الكشف عن الشبكة العميقة التي تنظم الرواية وتمنحها وحدتها الدلالية، لذلك يمكن اعتبار هذا الفصل تجسيدًا عمليًا للأدوات البنيوية التي عرضها المؤلف في الشق النظري.

الفصل الرابع: زمن السرد الروائي في إنتاجه دلالات التملك للوطن في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح.

يتناول هذا الفصل قضية الزمن بوصفها أحد أكثر مكونات السرد أهمية، ومن خلال الإحالة إلى رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح يبدو أن المؤلف يختبر مفاهيمه على نص روائي عربي ذي قيمة فنية كبيرة، وتشير العناوين الفرعية إلى اهتمام واضح بالفروق بين زمن النص وزمن الوقائع وزمن الذاكرة وزمن الصراع، كما أن الربط بين الزمن والشخصيات يكشف عن وعي بأن الزمن ليس عنصرًا تقنيًا محضًا، بل أداة لبناء الرؤية الفكرية والوجودية للرواية، ويبدو أن المؤلف يقرأ الزمن بوصفه بنية دلالية تكشف أزمة الهوية والتاريخ والعلاقة بالآخر، وهو ما ينسجم مع طبيعة رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" نفسها.

ثانيا– سياق تأليف الكتاب:

صدر كتاب (في معرفة النص) في مرحلة كان النقد العربي فيها يعيش حالة من المراجعة الفكرية والمنهجية حسب اعتقاد كثير من النقاد، فقد بدأت المناهج التقليدية تفقد قدرتها على تفسير الظواهر الأدبية الجديدة، في حين أخذت المناهج البنيوية والسيميائية تفرض حضورها داخل الجامعات العربية، وفي هذا السياق جاءت "يمنى العيد" لتطرح سؤالًا جوهريًا يتعلق بطبيعة المعرفة التي ينتجها النص الأدبي وكيفية الوصول إليها.

ولم يكن اهتمامها منصبًا على النص بوصفه بنية لغوية مغلقة فحسب، بل بوصفه ممارسة ثقافية واجتماعية تتفاعل فيها اللغة والتاريخ والوعي الإنساني، ولذلك يمكن القول إن الكتاب يمثل محاولة للتوفيق بين التحليل البنيوي للنص وبين الاهتمام بأبعاده التاريخية والاجتماعية، بعيدًا عن الاختزال الذي وقعت فيه بعض الاتجاهات النقدية المعاصرة.

ثالثا– المنهج النقدي في هذا الكتاب:

1. النص الأدبي بوصفه منتجًا للمعرفة:

تنطلق الناقدة "يمنى العيد" من تصور جوهري يرى أن النص الأدبي لا يُختزل في كونه مادة جمالية أو لغوية، وإنما يمثل شكلًا من أشكال المعرفة، فالأدب لا ينقل الواقع كما هو، بل يعيد إنتاجه داخل بناء لغوي خاص يمنح القارئ إمكانية اكتشاف أبعاد جديدة للعالم وللإنسان معا، ومن هنا يصبح النص فضاءً لإنتاج الدلالة وليس مجرد وعاء جاهز للمعاني.

ويكشف هذا التصور عن وعي نقدي يتجاوز الفهم التقليدي للأدب، إذ تتحول القراءة إلى عملية بحث وكشف وتأويل، ويصبح القارئ شريكًا في عملية إنتاج المعنى لا متلقيًا سلبيًا له.

2. تجاوز القراءة الانعكاسية للواقع الاجتماعي:

تنتقد "يمنى العيد" القراءات التي كانت تنظر إلى الأدب بوصفه انعكاسًا مباشرًا للواقع الاجتماعي أو السياسي، لأن هذه القراءات –في رأيها– تهمل خصوصية العمل الأدبي وتختزل قيمته فيما يحمله من مضامين، لذلك تدعو إلى التعامل مع النص باعتباره بناءً لغويًا يمتلك منطقه الداخلي وآلياته الخاصة في إنتاج الدلالة.

غير أن هذا الموقف لا يعني القطيعة مع الواقع، بل يعني فهم العلاقة بين النص والواقع بوصفها علاقة معقدة تمر عبر اللغة والتخييل والبناء الفني، فالنص لا يعكس الواقع، وإنما يعيد تشكيله وفق رؤية فنية وجمالية محددة.

رابعا– الإشكالية المحورية للكتاب:

تتمحور إشكالية الكتاب حول سؤال المعرفة النصية: **كيف يمكن للمقاربة النقدية أن تصل إلى معرفة النص؟ وهل تتحقق هذه المعرفة عبر البحث في حياة المؤلف وظروف**

إنتاج النص، أم عبر تحليل بنيته الداخلية، أم من خلال دراسة علاقته بالقارئ والسياق الثقافي الخارجي؟

تحاول يمنى العيد أن تقدم إجابة تتجاوز هذه الثنائيات، إذ ترى أن معرفة النص لا تتحقق من خلال عنصر واحد، بل من خلال دراسة شبكة العلاقات التي يتشكل داخلها المعنى. ولذلك يصبح النص مجالًا مفتوحًا للتأويل، تتقاطع فيه اللغة والتاريخ والثقافة والذات القارئة.

خامسا- أهم أطروحات الكتاب:

1- النص بوصفه مركزا لا هامشا:

من أبرز الأفكار التي تدافع عنها الناقدة اللبنانية "يمنى العيد" هي ضرورة الانطلاق من النص نفسه بوصفه نقطة البداية في أي ممارسة نقدية؛ فالنص هو المجال الذي تتجسد فيه الرؤية الفنية، ومن داخله ينبغي أن يبدأ التحليل، ولذلك ترفض القراءات التي تنشغل بالمؤلف أو بالظروف الخارجية أكثر من انشغالها بالنص ذاته.

غير أن مركزية النص عندها لا تعني عزله عن العالم، بل تعني أن الوصول إلى العالم يمر أولًا عبر فهم آليات اشتغال النص.

2- القراءة بوصفها إعادة إنتاجٍ للمعنى:

لا تنظر الكاتبة "يمنى" إلى القراءة بوصفها عملية استهلاك للمعنى الجاهز، بل تعدها فعلًا معرفيًا يشارك في بناء الدلالة، فالنص لا يمنح جميع معانيه دفعة واحدة، وإنما يكشفها تدريجيًا عبر التفاعل بين بنيته اللغوية وخبرة القارئ الثقافية والمعرفية.

ومن هنا تتأسس علاقة جديدة بين النص والقارئ، علاقة تقوم على الحوار والتأويل لا على التلقي السلبي.

3- العلاقة الجدلية بين النص والواقع:

تحرص "يمنى العيد" على تجاوز التعارض بين القراءة الشكلية والقراءة الاجتماعية، ولذلك تؤكد أن النص الأدبي يحمل آثار الواقع والتاريخ، لكنه لا يقدمهما بصورة مباشرة، فالأدب يعيد بناء الواقع داخل نظام رمزي ولغوي خاص، الأمر الذي يجعل فهم النص رهينًا بفهم هذه العملية التحويلية التي تنتقل فيها التجربة الإنسانية من مستوى الواقع إلى مستوى الخطاب الأدبي.

سادسا- القيمة العلمية والمعرفية للكتاب:

تكمن أهمية كتاب (في معرفة النص) في أنه أسهم في تعميق الوعي النقدي العربي بمفهوم النص وبآليات قراءته، كما أنه قدّم نموذجًا للانفتاح على المناهج النقدية الحديثة دون الوقوع في النقل الحرفي للمفاهيم الغربية، فقد سعت "يمنى العيد" إلى تكييف هذه المناهج مع خصوصية النصوص العربية وأسئلتها الثقافية، وهو ما منح كتابها قيمة معرفية تتجاوز حدود التطبيق النقدي المباشر.

كما يتميز الكتاب بقدرته على الجمع بين العمق النظري والاهتمام بالنصوص الأدبية، الأمر الذي جعله مرجعًا مهمًا للباحثين في النقد الأدبي الحديث.

سابعا- القراءة النقدية للكتاب:

1- إيجابيات الكتاب:

تكشف قراءة الكتاب عن مشروع نقدي واعٍ بطبيعة التحولات التي عرفها الفكر الأدبي المعاصر، فقد استطاعت "يمنى العيد" أن تقدم تصورًا متوازنًا للعلاقة بين النص والواقع، وأن تتجاوز كثيرًا من الثنائيات التي هيمنت على الخطاب النقدي العربي، كما تميزت كتابتها بقدرة واضحة على مناقشة المفاهيم النقدية الحديثة وربطها بأسئلة الثقافة العربية.

ويُحسب لها أيضًا أنها لم تتعامل مع المناهج الحديثة بوصفها قوالب جاهزة، بل حاولت إعادة إنتاجها داخل سياق نقدي عربي، الأمر الذي منح مشروعها طابعًا إبداعيًا لا يقتصر على التلقي أو النقل.

2- ملاحظات نقدية:

على الرغم من أهمية الكتاب، فإن بعض مفاهيمه النظرية تبدو شديدة الكثافة والتجريد، وهو ما قد يجعل قراءته صعبة بالنسبة للقارئ غير المتخصص، كما أن الطابع النظري يطغى في بعض المواضع على الجانب التطبيقي، الأمر الذي يدفع القارئ أحيانًا إلى البحث عن أمثلة نصية أكثر توضيحًا للمفاهيم المطروحة.

ومع ذلك فإن هذه الملاحظات لا تقلل من أهمية الكتاب، بل تؤكد طبيعته الفكرية العميقة بوصفه كتابًا يسعى إلى بناء رؤية معرفية للنص أكثر مما يسعى إلى تقديم أحكام نقدية مباشرة.

خاتمة:

يمثل كتاب (في معرفة النص) محطة أساسية في مسار النقد العربي المعاصر، لأنه أعاد طرح سؤال النص من منظور معرفي جديد، وجعل من القراءة فعلًا تأويليًا يسعى إلى اكتشاف آليات إنتاج المعنى داخل الخطاب الأدبي، ومن خلال هذا المشروع أسهمت يمنى العيد في ترسيخ تقاليد نقدية حديثة تقوم على الحوار بين النص والقارئ والواقع، وهو ما جعل كتابها واحدًا من الأعمال المرجعية التي لا تزال تحافظ على حضورها في الدراسات الأدبية العربية إلى يوم الناس هذا.

المحاضرة الثانية عشر: قراءة في كتاب نظرية البنائية في النقد الأدبي لـ: صلاح فضل:

سنحاول في هذا الدرس تقديم قراءة نقدية لأهم الأفكار التي تناولها الكتاب، وستكون هذه القراءة مختلفة عن القراءات التي قدمناها للكتابين السابقين.

أولا- أصول البنائية ومصادرها الفكرية:

يفتتح "صلاح فضل" كتابه بالعودة إلى الجذور الفكرية والعلمية التي انبثقت منها البنائية، إدراكًا منه أن فهم أي منهج نقدي لا يكتمل دون معرفة الظروف المعرفية التي أسهمت في نشأته، ومن خلال الفهرس يتضح أن المؤلف لم يتعامل مع البنائية بوصفها اتجاهًا نقديًا ظهر فجأة، وإنما باعتبارها حصيلة تطورات متراكمة في اللسانيات والأنثروبولوجيا والدراسات الأدبية الحديثة.

1- التعريف بالكتاب:

يُعد كتاب (نظرية البنائية في النقد الأدبي) من أهم الكتب العربية التي تناولت المنهج البنيوي عرضًا وتحليلًا وتطبيقًا، وقد سعى صلاح فضل من خلاله إلى تقديم صورة متكاملة عن البنائية بوصفها إحدى أبرز النظريات النقدية التي أثرت في الدراسات الأدبية خلال القرن العشرين، ويتميز الكتاب بجمعه بين التأصيل النظري والتطبيق العملي، الأمر الذي جعله مرجعًا أساسيًا للباحثين في مجال النقد الحديث.

2- موضوع الكتاب:

يناقش الكتاب الأسس الفكرية والمنهجية للبنائية، ويتتبع جذورها اللسانية والفلسفية، ثم ينتقل إلى بيان آلياتها في تحليل النصوص الأدبية، ولا يقتصر اهتمام المؤلف على الجانب النظري، بل يوسّع مجال الدراسة ليشمل تحليل الشعر والقصة والسيميولوجيا، بما يكشف عن اتساع الحقول التي استفادت من المنهج البنيوي.

ثانيا– فرديناند دي سوسير وتأسيس الرؤية البنيوية:

يمنح المؤلف مكانة مركزية لفرديناند دي سوسير، إذ يتوقف عند جملة من المفاهيم اللسانية التي أصبحت فيما بعد الأساس النظري للبنائية، ومن أبرزها ثنائية اللغة والكلام، والعلاقات السياقية والاستبدالية، ومفهوم العلامة اللغوية، والتمييز بين الدراسة التزامنية والدراسة التاريخية للغة، ويكشف هذا الاختيار عن اقتناع المؤلف بأن اللسانيات السوسيرية مثلت المنطلق الحقيقي الذي انتقلت منه فكرة البنية إلى مختلف العلوم الإنسانية.

ثالثا– الشكلانية الروسية وبدايات التحليل الأدبي العلمي:

بعد اللسانيات ينتقل الكتاب إلى المدرسة الشكلانية الروسية بوصفها أول محاولة جادة لتطبيق التصورات البنيوية على الأدب، ويبرز من خلال عناوين الفهرس اهتمام المؤلف بمفاهيم الشكل الأدبي والأدبية والانزياح والبنية الفنية للعمل الأدبي، كما يوضح كيف سعى الشكلانيون إلى تحرير الدراسة الأدبية من التفسيرات الخارجية والتركيز على خصائص النص ذاته.

رابعا– من الشكلانية إلى السرديات الحديثة:

تتجلى أهمية هذا الجزء في تتبعه لتطور التحليل البنيوي من دراسة الشعر إلى دراسة السرد، فالإشارة إلى "بروب" والمحور الوظيفي للحكايات تكشف عن اهتمام المؤلف بالسرديات البنيوية التي حاولت الكشف عن القوانين المنظمة للحكاية الشعبية والخطاب القصصي، وهنا تتضح محاولة الكتاب الربط بين الدراسات الشكلانية الأولى والتطورات البنيوية اللاحقة.

خامسا– حلقة براغ وتوسيع آفاق البنائية:

يفرد المؤلف مساحة مهمة لجهود حلقة براغ، مبرزًا إسهامها في تطوير النظرية البنيوية من خلال الدراسات الصوتية والشعرية، ويتضح من الفهرس أن الكتاب ينظر إلى هذه المدرسة بوصفها مرحلة انتقالية مهمة نقلت البنائية من الاهتمام بالبنية اللغوية المجردة إلى دراسة الوظائف الجمالية للغة الأدبية.

سادسا- رؤية المؤلف للبنائية:

تكشف طريقة تنظيم هذه الفصول عن أن صلاح فضل لا ينظر إلى البنائية باعتبارها نظرية مغلقة، بل مشروعًا معرفيًا تشكل عبر مراحل متعددة وأسهمت في بنائه مدارس واتجاهات مختلفة، ولهذا جاء عرض الأصول التاريخية والفكرية متدرجًا ومنظمًا، بحيث يقود القارئ من اللسانيات السوسيرية إلى الشكلانية الروسية ثم إلى حلقة براغ وغيرها من الروافد التي مهدت لظهور البنائية الحديثة.

1- البنائية في الأدب:

يفتتح صلاح فضل الجانب التطبيقي من كتابه بالحديث عن البنائية في الأدب، حيث يعرض مفهوم البنية الأدبية وعلاقتها باللغة والمعنى، ويؤكد أن النص الأدبي لا يُدرس من خلال عناصره المنفصلة، بل من خلال العلاقات التي تربط بين هذه العناصر داخل نظام متكامل، كما يتناول قضايا تعدد المعنى، والنموذج اللغوي للتحليل الأدبي، وعلاقات الحضور والغياب، وهي موضوعات تعكس التأثير المباشر للسانيات الحديثة في النقد الأدبي.

3- شروط النقد البنائي:

يفرد المؤلف مساحة مهمة للحديث عن شروط الممارسة النقدية البنيوية، مبينًا أن التحليل البنيوي يقوم على الموضوعية والدقة والوصف العلمي، ومن خلال عناوين هذا الفصل يظهر حرصه على تمييز النقد البنيوي عن النقد الانطباعي، وذلك بالتركيز على الكشف عن العلاقات الداخلية التي تنتظم النص، بدل إصدار الأحكام الجمالية الجاهزة.

سابعا- قراءة نقدية:

يكشف الكتاب عن جهد علمي كبير في عرض المنهج البنيوي وتبسيط مفاهيمه، غير أن التركيز المكثف على البنية الداخلية للنص يجعل القضايا التاريخية والاجتماعية والثقافية أقل حضورًا في التحليل، كما أن النزعة العلمية التي تتبناها البنائية قد تؤدي أحيانًا إلى تغليب الجانب الإجرائي على الجوانب الإنسانية والجمالية للنص الأدبي، ومع ذلك يبقى

الكتاب من أهم المحاولات العربية التي نجحت في تقديم صورة واضحة ومتماسكة عن الفكر البنيوي.

خاتمة:

يُحسب للمؤلف أنه قدم صورة مترابطة عن نشأة البنائية وتطورها، وربط بين مختلف الروافد التي أسهمت في تشكيلها. كما نجح في إبراز الصلة الوثيقة بين اللسانيات والنقد الأدبي، وهو ما يساعد القارئ على فهم الخلفيات النظرية التي استند إليها المنهج البنيوي، غير أن التركيز الكبير على الأصول اللسانية يجعل الجوانب الفلسفية والاجتماعية للبنائية أقل حضورًا في هذا الجزء من الكتاب، وهو أمر ينسجم مع طبيعة المشروع البنيوي نفسه الذي جعل اللغة مركزًا لكل تحليل.

المحاضرة الثالثة عشر: الإشكالات النظرية للنقد البنيوي

تقديم:

مثّلت البنيوية منعطفًا مهمًا في تاريخ النقد الأدبي الحديث، إذ نقلت الاهتمام من المؤلف والواقع والتاريخ إلى النص نفسه، وجعلت من البنية والعلاقات الداخلية محورًا للعملية النقدية، وقد مكّنها هذا التوجه من تطوير أدوات تحليل دقيقة أسهمت في إضفاء قدر من الصرامة المنهجية على دراسة النصوص الأدبية، غير أن هذا الطموح العلمي الذي رافق المشروع البنيوي أثار جملة من الأسئلة والإشكالات النظرية، خاصة حين حاول البنيويون تطبيق نموذج مستمد من اللسانيات على مجالات أكثر تعقيدًا مثل الأدب والثقاف، ومع اتساع تأثير البنيوية، بدأت تظهر أصوات نقدية تراجع بعض مسلّماتها الأساسية، وتتساءل عن حدود قدرتها التفسيرية، ومدى صلاحية مفاهيمها لفهم النصوص الأدبية في مختلف أبعادها، ومن هنا ارتبطت البنيوية بعدد من الإشكالات المتعلقة بمفهوم العلمية، وعلاقة النص بالتاريخ، وحدود المعنى، ومكانة القارئ، وطبيعة العلاقة بين البنية والسياق، وقد أسهمت هذه النقاشات في إعادة النظر في كثير من مقولاتها، ومهدت الطريق لظهور اتجاهات نقدية لاحقة سعت إلى تجاوز بعض حدودها النظرية.

أولا- الإشكالات النظرية:

هناك مجموعة من الإشكالات النظرية التي وقعت فيها البنيوية و«إن الإشكال الأساسي في البنيوية يتمثل في ادعائها العلمية الصارمة رغم اعتمادها على مفاهيم لغوية قابلة للتأويل المتعدد»[1].

وينبع هذا الإشكال من التوتر القائم بين الطموح العلمي للبنيوية وطبيعة اللغة نفسها، فالبنيويون سعوا إلى بناء منهج يقوم على الدقة والموضوعية، مستلهمين نموذج العلوم اللسانية، غير أن المادة التي يشتغلون عليها هي اللغة، وهي بطبيعتها مجال مفتوح على الاحتمال والتعدد، لذلك رأى بعض النقاد أن الحديث عن علمية صارمة في دراسة الأدب

[1] Jonathan Culler، Structuralist Poetics، مطبعة جامعة كورنيل، إيثاكا، الولايات المتحدة، ط1، 1975، ص 18.

يظل أمرًا نسبيًا؛ لأن المفاهيم اللغوية والدلالية لا تستجيب دائمًا للقوانين الثابتة التي نجدها في العلوم الدقيقة، لذلك «تواجه البنيوية مأزقًا منهجيًا حين تفصل النص عن التاريخ، مما يجعلها عاجزة عن تفسير التحول الدلالي عبر الزمن»[1].

وقد ظهر هذا الاعتراض نتيجة تركيز البنيوية على الدراسة التزامنية للنصوص، أي دراستها في لحظة معينة دون الالتفات إلى تطورها التاريخي، فالنصوص لا تولد في فراغ، بل تتحرك داخل سياقات ثقافية متغيرة، وتتبدل دلالاتها تبعًا لتحولات المجتمع واللغة وطرق التلقي، ومن ثم فإن إقصاء البعد التاريخي قد يحرم الناقد من فهم كثير من المعاني التي لا تتضح إلا في ضوء تطورها عبر الزمن، «إن البنيوية، رغم دقتها الشكلية، تتجاهل أحيانًا البعد الإنساني والتاريخي للعمل الأدبي»[2]. ويُقصد بذلك أن التركيز المفرط على البنية قد يؤدي إلى تهميش التجربة الإنسانية التي يحملها النص، فالأدب ليس مجرد شبكة من العلاقات اللغوية، بل هو أيضًا تعبير عن رؤى وأحاسيس وأسئلة ترتبط بالإنسان وواقعه، ولهذا رأى بعض النقاد أن التحليل البنيوي، على أهميته، لا يكفي وحده لفهم العمل الأدبي في جميع أبعاده.

وهناك إشكال نظري أيضا يكمن في «تحويل النص إلى نظام مغلق لا يسمح بتعدد القراءات التاريخية والاجتماعية»[3]. فحين يُنظر إلى النص باعتباره بنية مكتفية بذاتها، يصبح الاهتمام منصبًا على ما يوجد داخله فقط، بينما تتراجع أهمية العوامل الخارجية التي قد تسهم في إنتاج معناه، وقد أدى هذا التصور إلى انتقادات واسعة؛ لأن النصوص الكبرى غالبًا ما تظل قابلة لقراءات متعددة تختلف باختلاف الأزمنة والبيئات الثقافية، وهو ما يصعب استيعابه داخل نموذج مغلق.

وإن البنيوية كذلك «تواجه صعوبة في تحديد معنى ثابت، لأنها تقوم على فكرة الاختلاف داخل النظام اللغوي»[4]. وتنبع هذه الصعوبة من أن المعنى، في التصور البنيوي،

---

[1] Terry Eagleton، Literary Theory: An Introduction، دار Blackwell، أكسفورد، المملكة المتحدة، ط1، 1983، ص 96.

[2] Roland Barthes، Critique et vérité، دار سوي، باريس، فرنسا، ط1، 1966، ص 52.

[3] Michel Foucault، L'archéologie du savoir، دار Gallimard، باريس، فرنسا، ط1، 1969، ص 21

[4] Ferdinand de Saussure، Cours de linguistique générale، دار Payot، باريس، فرنسا، ط1، 1916، ص 112.

لا يستمد وجوده من جوهر ثابت، بل من شبكة العلاقات والاختلافات التي تربط العلامات بعضها ببعض، وإذا كانت هذه العلاقات قابلة لإنتاج أكثر من دلالة، فإن الوصول إلى معنى نهائي أو وحيد يصبح أمرًا إشكاليًا، ومن هنا ظهرت تساؤلات حول مدى قدرة البنيوية على حسم الدلالة أو ضبطها بصورة نهائية و«من أبرز إشكالات النقد البنيوي أنه يُغلق النص داخل حدوده اللغوية متجاهلًا سياقات إنتاجه الثقافية»[1].

ويُلاحظ هذا الإشكال خاصة في النصوص التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمرجعياتها الحضارية والثقافية، فبعض الدلالات لا يمكن فهمها من خلال البنية اللغوية وحدها، بل تحتاج إلى معرفة الخلفيات الفكرية والاجتماعية التي أنتجتها، لذلك رأى عدد من الدارسين أن الاقتصار على التحليل الداخلي قد يؤدي أحيانًا إلى قراءة ناقصة للنص.

وتكمن أزمة البنيوية كذلك «في سعيها إلى تأسيس علم للنصوص الأدبية دون امتلاك أدوات كافية للتعامل مع التعدد الدلالي».[2] ويُعد هذا الإشكال خلاصة لكثير من الاعتراضات الموجهة إلى المشروع البنيوي، فالأدب بطبيعته مجال غني بالإيحاء والاحتمال والانفتاح الدلالي، بينما تسعى البنيوية إلى ضبطه ضمن شبكة من القواعد والعلاقات.

وقد كشفت التجربة النقدية أن النصوص الأدبية كثيرًا ما تتجاوز النماذج التحليلية الجاهزة، وتنتج معاني جديدة تبعًا لاختلاف القراء والسياقات الثقافية، وهو ما جعل بعض الباحثين يرون أن البنيوية، على أهميتها المنهجية، لم تستطع وحدها الإحاطة بكل أبعاد الظاهرة الأدبية.

---

[1] Gérard Genette، Figures III، دار Seuil، باريس، فرنسا، ط1، 1972، ص 74.

[2] Tzvetan Todorov، Poétique de la prose، دار Seuil، باريس، فرنسا، ط1، 1971، ص 33.

المحاضرة الرابعة عشر: الإشكالات التطبيقية للنقد البنيوي

تقديم:

إذا كانت الإشكالات النظرية للبنيوية قد انصبت على أسسها الفكرية ومقولاتها المنهجية، فإن الإشكالات التطبيقية ظهرت عند الانتقال من مستوى التنظير إلى مستوى الممارسة النقدية، فقد بدت كثير من المفاهيم البنيوية واضحة في إطارها النظري، غير أن تطبيقها على النصوص الأدبية كشف عن جملة من الصعوبات المرتبطة بطبيعة النصوص نفسها وتنوع أشكالها ومستوياتها الدلالية.

أولا- الإشكالات الإجرائية:

لم ينشغل النقاد فقط بمدى صلاحية المبادئ البنيوية، بل تساءلوا أيضًا عن قدرة الإجراءات التطبيقية على الإحاطة بالنص الأدبي في مختلف أبعاده، ومن هنا برزت مجموعة من الإشكالات المتعلقة بحدود التحليل البنيوي، ومرونته في التعامل مع النصوص المختلفة، ومدى نجاحه في تحويل مفاهيمه النظرية إلى أدوات إجرائية فعالة داخل الممارسة النقدية «إن التطبيق البنيوي للنصوص الأدبية يواجه صعوبة في ضبط الحدود بين التحليل الوصفي والتأويل النقدي»[1].

فالبنيوية تعلن منذ البداية رغبتها في وصف بنية النص والكشف عن آليات اشتغاله، غير أن الممارسة التطبيقية كثيرًا ما تدفع الناقد إلى تجاوز الوصف نحو التأويل، وعند هذه النقطة يصبح من الصعب الفصل بين ما هو وصف للعلاقات الداخلية وما هو تفسير لمعانيها؛ لأن مجرد اختيار علاقة معينة أو إبراز بنية دون أخرى ينطوي على قدر من التأويل، ولذلك ظل السؤال مطروحًا حول الحدود الفاصلة بين التحليل الموضوعي والقراءة التأويلية داخل الممارسة البنيوية و«يظل الإشكال التطبيقي للبنيوية مرتبطًا بكيفية تحويل المفاهيم النظرية إلى أدوات تحليلية دقيقة للنصوص المختلفة»[2]. وتظهر هذه الصعوبة عندما ينتقل الناقد من المفاهيم العامة مثل البنية والنسق والعلاقة إلى التعامل مع نصوص

---

[1] Jonathan Culler، Structuralist Poetics، مطبعة جامعة كورنيل، إيثاكا، الولايات المتحدة، ط1، 1975، ص 42.

[2] Tzvetan Todorov، Poétique de la prose، دار Seuil، باريس، فرنسا، ط1، 1971، ص 58.

أدبية ذات طبيعة خاصة، فالمفهوم النظري يظل واسعًا ومجردًا، أما التطبيق فيحتاج إلى إجراءات واضحة ودقيقة، ولهذا اختلفت التطبيقات البنيوية من ناقد إلى آخر، تبعًا لاختلاف فهمهم للمفاهيم نفسها وطرائق توظيفها في التحليل و«إن التحليل البنيوي للسرد يواجه صعوبة في التعامل مع النصوص المفتوحة التي تتعدد فيها مستويات الدلالة»[1].

ويبدو هذا الأمر بوضوح في بعض الروايات الحديثة التي لا تخضع لبناء سردي ثابت أو خطي، فهذه النصوص تقوم على التعدد والاحتمال والانفتاح، الأمر الذي يجعل إخضاعها لنماذج بنيوية صارمة مهمة معقدة، لذلك وجد بعض البنيويين أنفسهم أمام نصوص تتجاوز الأطر التصنيفية التي وضعتها الدراسات السردية التقليدية.

وتكمن الإشكالية التطبيقية الأخرى «في عجزها أحيانًا عن استيعاب السياق الثقافي للنص الأدبي أثناء التحليل الداخلي»[2]. ويظهر هذا الإشكال خاصة عند تحليل النصوص المرتبطة بمرجعيات حضارية أو رمزية عميقة. فالاكتفاء بالعلاقات الداخلية قد يكشف جانبًا من بنية النص، لكنه لا يفسر دائمًا خلفياته الثقافية أو دلالاته المرتبطة ببيئة إنتاجه. ومن هنا رأى بعض الدارسين أن التحليل البنيوي قد يفقد جزءًا من فاعليته عندما يتجاهل الأفق الثقافي الذي يتحرك داخله النص و«إن تطبيق البنيوية على الشعر يكشف حدودها حين تُختزل الدلالة في العلاقات اللغوية وحدها»[3]. فالشعر لا يقوم فقط على انتظام العناصر اللغوية، بل يعتمد أيضًا على الإيحاء والرمز والانفعال والتجربة الجمالية، لذلك فإن التركيز على البنية اللغوية وحدها قد يؤدي إلى إغفال جوانب مهمة من خصوصية الخطاب الشعري، ولهذا السبب اتجه عدد من النقاد إلى الاستفادة من التحليل البنيوي دون الاكتفاء به في مقاربة النصوص الشعرية و«يظل من أبرز الإشكالات التطبيقية للبنيوية صعوبة توحيد الإجراءات التحليلية بين مختلف النصوص الأدبية»[4]. وتعود هذه الصعوبة إلى اختلاف الأجناس الأدبية وتنوع بنياتها، فالأدوات التي تصلح لتحليل قصيدة شعرية قد لا

---

[1] Gérard Genette، Figures III، دار Seuil، باريس، فرنسا، ط1، 1972، ص 81.

[2] Terry Eagleton، Literary Theory: An Introduction، دار Blackwell، أكسفورد، المملكة المتحدة، ط1، 1983، ص 102.

[3] Roman Jakobson، Linguistics and Poetics، في: Style in Language، مطبعة MIT، كامبريدج، الولايات المتحدة، ط1، 1960، ص 370.

[4] Roland Barthes، S/Z، دار Seuil، باريس، فرنسا، ط1، 1970، ص 15.

تكون مناسبة لتحليل رواية أو نص مسرحي، ولذلك لم تستطع البنيوية أن تقدم نموذجًا تطبيقيًا واحدًا يمكن تعميمه على جميع النصوص، بل ظلت إجراءاتها تتغير بحسب طبيعة المادة المدروسة و«إن التحليل البنيوي، عند التطبيق، قد يتحول إلى تفكيك ميكانيكي للنص إذا لم يُضبط بأفق نظري واضح»[1].

وهذا من أكثر الانتقادات التي وُجهت إلى بعض التطبيقات البنيوية؛ إذ قد ينشغل الناقد بإحصاء العلاقات والتقسيمات والبنى الجزئية إلى درجة يفقد معها النص وحدته وحيويته. وعندئذ يصبح التحليل أقرب إلى عملية تقنية باردة منه إلى قراءة نقدية تكشف دلالة العمل الأدبي، لذلك تبقى قيمة التحليل البنيوي مرتبطة بقدرة الناقد على الموازنة بين الدقة الإجرائية وفهم المعنى الذي تنتجه البنية في مجموعها.

تكشف الإشكالات التطبيقية للنقد البنيوي أن الانتقال من التنظير إلى الممارسة لم يكن دائمًا أمرًا يسيرًا، إذ واجهت البنيوية تحديات متعددة عند محاولة تطبيق مفاهيمها على النصوص الأدبية بمختلف أنواعها، فبين السعي إلى تحقيق الدقة العلمية والحرص على الإحاطة بثراء النص وتعقيده، ظهرت مجموعة من الصعوبات المرتبطة بحدود الإجراءات التحليلية وقدرتها على استيعاب الأبعاد الدلالية والثقافية والجمالية للعمل الأدبي.

ومع ذلك، لا تقلل هذه الإشكالات من القيمة المنهجية للبنيوية، بقدر ما تكشف حدودها وإمكاناتها في الوقت نفسه، فقد أسهمت البنيوية في تطوير أدوات تحليل النصوص وإرساء تقاليد نقدية جديدة، غير أن التجربة التطبيقية أثبتت أن النص الأدبي يظل أكثر ثراءً من أن يُختزل في نموذج إجرائي واحد، وهو ما فتح المجال أمام مناهج لاحقة سعت إلى استكمال ما بدأته البنيوية وتجاوز بعض حدودها.

[1] Claude Lévi-Strauss، Anthropologie structurale، دار Plon، باريس، فرنسا، ط1، 1958، ص 66.

الخاتمة

الخاتمة:

يمكن استخلاص جملة من النتائج أهمها:

✓مثّلت البنيوية تحولًا منهجيًا مهمًا في تاريخ النقد الأدبي، إذ نقلت الاهتمام من العوامل الخارجية المحيطة بالنص إلى دراسة بنيته الداخلية والعلاقات التي تنتظم عناصره.

✓استندت البنيوية إلى أسس لسانية وفلسفية متعددة، كان أبرزها منجزات فردينان دي سوسير في اللسانيات الحديثة، إضافة إلى إسهامات الشكلانيين الروس والأنثروبولوجيا البنيوية عند كلود ليفي شتراوس.

✓أسهمت البنيوية في ترسيخ مجموعة من المفاهيم المركزية، مثل البنية، والنسق، والعلاقة، والدال والمدلول، واللغة والكلام، وهي مفاهيم أصبحت من الأدوات الأساسية في التحليل النقدي الحديث.

✓قدمت البنيوية تصورًا جديدًا للنص الأدبي بوصفه نظامًا من العلاقات المتداخلة، لا مجرد وعاء للأفكار أو انعكاس مباشر للواقع.

✓أتاحت مستويات التحليل البنيوي إمكانات واسعة لدراسة النصوص الأدبية من خلال مقاربة مكوناتها اللغوية والسردية والدلالية والزمنية في إطار بنية متكاملة.

✓لم تتشكل البنيوية في إطار معرفي واحد، بل استفادت من روافد متعددة، من أهمها الشكلانية الروسية والبنيوية التكوينية، وهو ما منحها ثراءً نظريًا ومنهجيًا.

✓شهدت البنيوية انتشارًا واسعًا في النقد العربي المعاصر، حيث حاول النقاد العرب الإفادة من أدواتها في قراءة النصوص الأدبية وإعادة النظر في عدد من المفاهيم النقدية السائدة.

✓كشفت الدراسات النقدية العربية عن إمكان إقامة حوار بين بعض التصورات البنيوية الحديثة وبعض الملامح الموجودة في التراث النقدي العربي، خاصة ما يتعلق بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

✓واجهت البنيوية مجموعة من الإشكالات النظرية، تمثلت في علاقتها بالتاريخ، وموقفها من المؤلف، وحدود مفهوم العلمية، وإشكالية المعنى والدلالة.

✓كما أفرز التطبيق النقدي للبنيوية عددًا من الصعوبات العملية، أبرزها التعامل مع النصوص المفتوحة، وتعدد الدلالات، وإشكالية المواءمة بين التحليل البنيوي والسياقات الثقافية والتاريخية.

✓وعلى الرغم من هذه الانتقادات، فقد ظل النقد البنيوي أحد أكثر المناهج تأثيرًا في الدراسات الأدبية الحديثة، لما قدمه من أدوات دقيقة أسهمت في تطوير الممارسة النقدية وإعادة بناء العلاقة مع النص الأدبي.

✓تؤكد التجربة النقدية المعاصرة أن البنيوية ليست نهاية المطاف في دراسة الأدب، وإنما مرحلة أساسية في تطور الفكر النقدي الحديث، أسهمت في تمهيد الطريق لظهور مناهج واتجاهات جديدة أفادت من منجزاتها وراجعت حدودها في الوقت نفسه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم برواية الإمام ورش.

أولا- المصادر:

1. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، كتاب النون.
2. مختار الصحاح: الرازي.
3. المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية.

ثانيا- المراجع العربية:

1. عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، تونس، ط 2، 1982.
2. محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 6، 2000.
3. عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغرابة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2006.
4. كمال أبو ديب: في البنيوية التكوينية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1981.
5. عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط 1، 1985م.
6. طه حسين: حديث الأربعاء، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 5، 1973.
7. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط 1، 1996.
8. عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، المجلس الأعلى للثقافة، الجزائر، الجزائر، ط 1، 2002.
9. يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي، العربي الجديد، منشورات الاختلاف، العاصمة، الجزائر، ط1، 2009م.
10. حسين سليمان قورة: الأصول التربوية في بناء المناهج، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1977.

11.عبد الله خضر حمد: مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).
12.عبد الله محمد الغذامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصرية، ط4، 1998.
13.محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط 3، 1979.
14.عبد الله إبراهيم وآخرون: معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996م.
15.شكري عزيز الماضي: في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.
16.نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2003م.
17.محمد الأمين بحري: البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، دراسة في نقد النقد، منشورات مديرية الثقافة، بسكرة، الجزائر، ط1، 2013م.
18.حسين الواد، في مناهج الدراسات الأدبية، دار الجنوب للنشر، تونس، تونس، ط1، 1999م.
19.ميجان الرويلي وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط:1، 2017م.
20.شايف عكاشة: نظرية الأدب في النقدين الجمالي والبنيوي في الوطن العربي، ج 03، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.
21.نهاد التكرلي: اتجاهات النقد الفرنسي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد 1979م.
22.سمير حجازي: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، دط، 1990م.
23.حسين الواد: في مناهج الدراسات الأدبية، سراس للنشر، تونس، دط، 1985م.

24.رشيد ثابت: البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام، الدار العربية للكتاب، تونس/ليبيا، ط2، 1982م.
25.حميد الحميداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985م.
26.صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998م.
27.عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، تونس، ط2، 1982م.
28.نبيلة إبراهيم: فن القص في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة، د ط، دت.
29.جابر عصفور: مفهوم الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 1995م.
30.عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، تونس، ط2، 1982م.
31.محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985م.
32.سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.
33.حميد لحمداني: النقد الأدبي المعاصر، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1982م.
34.عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغرابة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1982م.
35.يمنى العيد: في معرفة النص، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت–لبنان، ط3، 1985م.
36.محمد بنيس ظاهرة الشعر العربي المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979م.

37.محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط 2، 1997م.

ثالثا- المراجع المعربة (المترجمة):

1. Claude Bremond، منطق السرد، تر: محمد برادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.
2. Claude Lévi-Strauss، Anthropologie structurale، دار Plon، باريس، فرنسا، ط1، 1958م.
3. Claude Lévi-Strauss، Anthropologie structurale، منشورات بلون، باريس، فرنسا، ط1، 1958م.
4. Ferdinand de Saussure، Cours de linguistique générale، دار Payot، باريس، فرنسا، ط1، 1916م.
5. Ferdinand de Saussure، Cours de linguistique générale، دار Payot، باريس، فرنسا، ط1، 1916م.
6. Ferdinand de Saussure، دروس في اللسانيات العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، الجزائر، ط1، 1986.
7. Gérard Genette، Figures III، دار Seuil، باريس، فرنسا، ط1، 1972م.
8. Gérard Genette، Figures III، دار Seuil، باريس، فرنسا، ط1، 1972م.
9. Gérard Genette، Figures III، دار سوي، باريس، فرنسا، ط1، 1972م.
10. Gérard Genette، خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1997م.
11. John Sturrock، البنيوية وما بعدها: من ليفي شتراوس إلى دريدا، تر: محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، الكويت، ط1، 1996.
12. Jonathan Culler، Structuralist Poetics، مطبعة جامعة كورنيل، إيثاكا، الولايات المتحدة، ط1، 1975م.

13. Jonathan Culler، Structuralist Poetics، مطبعة جامعة كورنيل، إيثاكا، الولايات المتحدة، ط1، 1975م.
14. Jonathan Culler، Structuralist Poetics، مطبعة جامعة كورنيل، إيثاكا، الولايات المتحدة، ط1، م.
15. Leonard Jackson: البنيوية الفرنسية، ليفي شتراوس، لاكان، ألتوسير، فوكو، دريدا، تر: ثائر ديب، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 1997م.
16. Michel Foucault، L'archéologie du savoir، دار Gallimard، باريس، فرنسا، ط1، 1969م.
17. René Wellek & Austin Warren، نظرية الأدب، تر: محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2م.
18. Roland Barthes، Critique et vérité، دار سوي، باريس، فرنسا، ط1، 1966،
19. Roland Barthes، S/Z، دار Seuil، باريس، فرنسا، ط1، 1970م.
20. Roland Barthes، مدخل إلى التحليل البنيوي للسرد، تر: عبد الحميد عقار، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992م.
21. Roman Jakobson، Linguistics and Poetics (اللسانيات والشعرية)، في كتاب Style in Language، مطبعة MIT، كامبريدج، الولايات المتحدة، ط1، 1960م.
22. Roman Jakobson، Linguistics and Poetics، في: Style in Language، مطبعة MIT، كامبريدج، الولايات المتحدة، ط1، 1960م.
23. Roman Jakobson، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988م.
24. Simon Clarke، أسس البنيوية: نقد ليفي شتراوس والحركة البنيوية، تر: سعيد العليمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2015م.
25. Terry Eagleton، Literary Theory: An Introduction، دار Blackwell، أكسفورد، المملكة المتحدة، ط1، 1983م.

26. Terry Eagleton، Literary Theory: An Introduction، دار Blackwell، أكسفورد، المملكة المتحدة، ط1، 1983م.

27. Tzvetan Todorov، Poétique de la prose، دار Seuil، باريس، فرنسا، ط1، 1971م.

28. Tzvetan Todorov، Poétique de la prose، دار Seuil، باريس، فرنسا، ط1، 1971م.

29. Tzvetan Todorov، Poétique de la prose، دار سوي، باريس، فرنسا، ط1، 1971م.

30. Tzvetan Todorov، الشعرية، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990م.

31. تزفتان تودوروف: الشعرية، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990م.

32. تيري إيغلتون: مقدمة في نظرية الأدب، تر: ثائر ديب، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 1991م.

33. جان بياجيه: البنيوية، تر: عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط4، 1985م.

34. جورج لوكاتش: دراسات في الواقعية الأوروبية، تر: نايف بلّوز، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، ط1، 1982.

35. جون ستروك: البنيوية وما بعدها: من ليفي شتراوس إلى دريدا، تر: محمد عصفور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

36. جوناثان كللر: الشعرية البنيوية، تر: السيد إمام، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، 2000م.

37. جوناثان كولر: البنيوية: اللسانيات والأدب، تر: جابر عصفور، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط1، 1986م.

38. ديفيد بشبندر: نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، تر: عبد المقصود عبد الكريم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1996،

39. رولان بارث: الدرجة الصفر للكتابة، تر: محمد برادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

40. رولان بارث، نقد وحقيقة، تر: منذر عياشي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988م.

41. رومان جاكبسون: قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنوز، المعرفة الأدبية، دار توبقال للنشر، 1988م.

42. سيغموند فرويد: تفسير الأحلام، تر: مصطفى صفوان، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 2، 1984.

43. فرديناند دي سوسير: دروس في اللسانيات العامة، تر: صالح القرمادي وآخرون، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، د.ت.

44. فرديناند دي سوسير: دروس في اللسانيات العامة، تر: يوسف غازي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 2، 2004.

45. فيكتور إرليش: الشكلانية الروسية: التاريخ والمذهب، تر: إبراهيم الخطيب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989م.

46. كلود ليفي شتراوس: الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 3، 1985.

47. كلود ليفي شتراوس: البنى الأولية للقرابة، تر: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1982م.

48. كلود ليفي شتراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 1977م.

49. لوسيان غولدمان: الإله الخفي، تر: حسن قبيسي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.

50. لوسيان غولدمان: من أجل علم اجتماع الرواية، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

رابعا- أطاريح الدكتوراه:

1.وردة عبد العظيم عطا الله قنديل: رسالة ماجستير بعنوان: البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي، تحت إشراف عبد الخالق محمد العف، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد بكلية الآداب قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين 2010م.

خامسا- المقالات والدوريات:

2.Roland Barthes، (La mort de l'auteurمقال: موت المؤلف)، مجلة Mantéia، باريس، فرنسا، ط1، 1968م.

3.إبراهيم السعافين: مقال بعنوان: إشكالية القارئ في النقد الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصر، العددان 60-61، ك 2، 1989م.

4.إبراهيم خليل: مقال بعنوان: انقلاب ثوري في الألسنيات، مجلة أفكار، العدد 118، أوت 1994م.

5.بن عزوز حليمة: مقال حول حقيقة الأنثروبولوجيا البنيوية وآفاق الاستفادة من جهود كلود ليفي شتراوس، مجلة الفكر المتوسطي، جامعة جيجل، الجزائر، المجلد: 9، العدد: 2.

6.جودت الركابي: مقال بعنوان: أدبنا والبنيوية، مجلة الموقف الأدبي، العدد 220-221، أوت 1989م.

7.حسام الخطيب: مقال بعنوان: البنيوية والنقد العربي القديم، مجلة الموقف الأدبي، العدد 182، جوان، 1986م.

8.رولان بارت: موت المؤلف، تر: منذر عياشي، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، المجلد 21، العددان 241 - 232، ص54_59,

9.عبد العزيز بن تيشة، بوعزة عبد القادر: مقال بعنوان: تَمَثُّلات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس بين التوفيق والتلفيق، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد 4، العدد 3، سبتمبر 2021م.

10. العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي-مجلة البحوث الإسلامية- العدد 58.

11. فرح عبد الغني: مقال في نشأة المنهج البنيوي وتطوره، موضوع، 2023، الصفحة الإلكترونية: فقرة "نشأة المنهج البنيوي في الفلسفة".
12. محمد خرماش: عنوان المقال: البنيوية التكوينية في الدراسات الأدبية في المغرب، مجلة فصول (4/3) المجلد 9 فبراير 1991م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**أ_ب**
المحاضرة الأولى: اتجاهات النقد الأدبي الحديث: فترة ما قبل البنيوية	**3**
تقديم	**3**
أولا– مفهوم المنهج لغة	**3**
ثانيا– مفهوم المنهج اصطلاحا	**4**
ثالثا– طبيعة النقد الأدبي في فترة ما قبل البنيوية	**5**
2– تشكل المنهج الانطباعي؛ الدراسة السياقية للنص الأدبي	**5**
المحاضرة الثانية: مفهوم النقد البنيوي وتعدد مصطلحاته	**9**
تقديم	**9**
أولا– مفهوم البنية والبنيوية	**9**
ثانيا– المفاهيم والمبادئ الكبرى التي أشاعتها البنيوية	**12**
1_اللغة والكلام: Langue–Parole	**12**
2_نظام العلاقات: Relations system	**14**
3_التزامن والتعاقب: Synchronic and diachronic	**15**
4_الحضور والغياب:Presence and absence	**16**
المحاضرة الثالثة: الأصول الفلسفية للنقد البنيوي	**17**
تمهيد	**17**
أولا– تجاوز مركزية الذات في الفلسفة الحديثة	**17**
ثانيا– مفهوم البنية كبديل عن التفسير الجوهري	**17**
ثالثا– المنطلقات الفلسفية للبنيوية	**17**
خاتمة	**19**
المحاضرة الرابعة: الأصول اللسانية للنقد البنيوي	**21**
تقديم	**21**

أولا- اللغة بوصفها نظامًا من العلامات	21
ثانيا- العلامة اللغوية (الدال والمدلول)	23
ثالثا- ثنائية اللغة والكلام	25
المحاضرة الخامسة: روافد البنيوية: أ- البنيوية الشكلانية	**26**
تمهيد	26
خاتمة	29
المحاضرة السادسة: روافد البنيوية: ب-البنيوية التكوينية	**30**
تمهيد	30
أولا- المفهوم اللغوي	30
ثانيا- المفهوم الاصطلاحي	31
ثالثا- تشكل المنهج البنيوي التكويني	32
رابعا- البنيوية التكوينية في الوطن العربي	34
خاتمة:	37
المحاضرة السابعة: النص الأدبي من مدار المقاربة البنيوية إلى مستويات التحليل البنيوي	**38**
تمهيد	38
أولا- مدار التحليل البنيوي	38
ثانيا- مستويات التحليل البنيوي	42
خاتمة	43
المحاضرة الثامنة: البنيوية في الكتابات النقدية الغربية	**44**
تقديم	44
أولا- تشكل الفكر البنيوي عند الغربيين	44
ثانيا- أهم أعلام البنيوية في الغرب	46
5- فرديناند دي سوسير	46
6- رومان جاكبسون	47

7- فلاديمير بروب	**47**
8- كلود ليفي شتراوس	**48**
المحاضرة التاسعة: البنيوية في كتابات النقاد العرب المعاصرين	**50**
تمهيد:	**50**
أولا- البنيوية في الكتابات العربية	**50**
المحاضرة العاشرة: قراءة في كتاب ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية لـ: محمد بنيس	**53**
تمهيد	**53**
أولا- فكرة وسياق تأليف هذا الكتاب	**53**
ثانيا- المنهج النقدي الذي اعتمد في هذا الكتاب	**54**
1_المنهج البنيوي التكويني	**54**
2_تجاوز الكتاب للقراءة التقليدية ومحاولة البحث عن مقاربة جديدة للنص الأدبي	**55**
ثالثا- الإشكالية التي يطرحها الكتاب	**55**
رابعا- أهم أطروحات الكتاب	**56**
1_خصوصية الحداثة الشعرية المغربية	**56**
2_العلاقة بين الشعر والتحولات الاجتماعية	**59**
3_مركزية اللغة الشعرية وتحولاتها	**59**
خامسا- القيمة العلمية للكتاب	**60**
سادسا- قراءة نقدية للكتاب	**60**
1_إيجابيات الكتاب	**60**
2_ملاحظات نقدية	**61**
خاتمة	**62**
المحاضرة الحادية عشر: قراءة في كتاب (في معرفة النص) لـ: يمنى العيد	**63**
تمهيد	**63**
أولا- محتويات الكتاب وأهم الأفكار التي تخللتها الفصول	**63**

القسم الأول– عن البنيوية وعن الواقعية	63
الفصل الأول– المنشأ اللساني للبنيوية: تعريف نطرحه على مسارنا النقدي.	63
الفصل الثاني– الواقعية سؤال في معرفة النص	64
القسم الثاني: المسألة النقدية والمسألة الشعرية.	65
الفصل الأول: خطوات عريضة في البحث عن هوية القصيدة العربية الجديدة.	65
الفصل الثاني: في النقد البنيوي وفي البنيوية التكوينية – الجدلية عند محمد بنيس.	66
القسم الثالث: النقد والتجريب – دراسات نصية.	66
الفصل الأول: الموقع الفكري وأثره في توليد دلالات النص – دراسة لقصيدة «تحت جدارية فائق حسن» لسعدي يوسف.	66
الفصل الثاني: مستويات البنية والوظيفة الدلالية – دراسة لرسالة الخليفة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري.	67
الفصل الثالث– محاور البنية ومكوناتها في رواية «السؤال» لغالب هلسا.	67
الفصل الرابع: زمن السرد الروائي في إنتاجه دلالات التملك للوطن في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح	68
ثانيا– سياق تأليف الكتاب	68
ثالثا– المنهج النقدي في هذا الكتاب	69
1_النص الأدبي بوصفه منتجًا للمعرفة	69
2_تجاوز القراءة الانعكاسية للواقع الاجتماعي	69
رابعا– الإشكالية المحورية للكتاب	69
خامسا– أهم أطروحات الكتاب	70
1_النص بوصفه مركزا لا هامشا	70
2_القراءة بوصفها إعادة إنتاجٍ للمعنى	70
3_العلاقة الجدلية بين النص والواقع	71
سادسا– القيمة العلمية والمعرفية للكتاب	71

سابعا– القراءة النقدية للكتاب	**71**
1_إيجابيات الكتاب	**71**
2_ملاحظات نقدية	**72**
خاتمة	**72**
المحاضرة الثانية عشر: قراءة في كتاب نظرية البنائية في النقد الأدبي لـ: صلاح فضل	**73**
أولا– أصول البنائية ومصادرها الفكرية	**73**
1_التعريف بالكتاب	**73**
2_موضوع الكتاب	**73**
ثانيا– فرديناند دي سوسير وتأسيس الرؤية البنيوية	**74**
ثالثا– الشكلانية الروسية وبدايات التحليل الأدبي العلمي	**74**
رابعا– من الشكلانية إلى السرديات الحديثة	**74**
خامسا– حلقة براغ وتوسيع آفاق البنائية	**74**
سادسا– رؤية المؤلف للبنائية	**75**
1_البنائية في الأدب	**75**
2_شروط النقد البنائي	**75**
سابعا– قراءة نقدية	**75**
خاتمة	**76**
المحاضرة الثالثة عشر: الإشكالات النظرية للنقد البنيوي	**77**
تقديم	**77**
أولا– الإشكالات النظرية	**77**
المحاضرة الرابعة عشر: الإشكالات التطبيقية للنقد البنيوي	**80**
تقديم	**80**
أولا– الإشكالات الإجرائية	**80**
الخاتمة:	**84**

قائمة المصادر والمراجع:	87
فهرس الموضوعات:	97